

الأيديولوجية الصهيونية في ظل المتغيرات السياسية الإقليمية المعاصرة (دراسة تحليلية نقدية)

د. منال أبو زيد عبده رجب الشهابي

أستاذ مساعد - تخصص فلسفة السياسة - قسم الفلسفة - كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

المخلص:

تسعى هذه الدراسة إلى تحليل الأيديولوجية الصهيونية بوصفها نسقاً فكرياً- سياسياً مركباً يجمع بين الأساطير الدينية والرؤية القومية الحديثة، والتوظيف الاستعماري الغربي في إطار النسق الدولي الحديث. فالصهيونية لم تتشكل بوصفها حركة قومية دينية، بل بوصفها بنية فلسفية فكرية ذات طابع امبريالي توسعي، أعادت إنتاج الأسطورة في صورة مشروع سياسي يستمد شرعيته من النصوص الدينية، ويترجمها إلى ممارسة استعمارية قائمة على الإقصاء والسيطرة. تتبثق مشكلة البحث من التناقض بين المنطلقات الأيديولوجية الصهيونية التي تدعي التفوق الأخلاقي والتاريخي للشعب اليهودي، وبين الواقع البنيوي الجديد للنسق الإقليمي الذي يشهد تحولات جذرية تمثلت في عملية طوفان الأقصى أكتوبر ٢٠٢٣، وحرب الاثني عشر يوماً بين إيران وإسرائيل، وصعود الفاعلين من غير الدول، وسقوط النظام السوري، وهي تحولات كشفت حدود القوة الإسرائيلية، والأزمة الوجودية التي يعاني منها المشروع الصهيوني نفسه.

تهدف الدراسة إلى تحليل البنية الفلسفية للأيديولوجية الصهيونية، من خلال تناول التحول الإبستمولوجي الذي نقلها من إطارها اللاهوتي إلى وظيفة سياسية- استعمارية، وتوضيح كيف حافظت هذه الأيديولوجية على قدرتها على إعادة إنتاج نفسها عبر آليات الخطاب والهيمنة. ولقد اعتمدت الدراسة على مناهج تحليلية متعددة - تاريخية ونقدية واستقرائية - لقراءة الصهيونية في ضوء جدلية الفكر والممارسة، والكشف عن بنيتها الوظيفية داخل النسق الغربي.

لقد خلصت الدراسة إلى أن الأيديولوجية الصهيونية تواجه أزمة بنيوية في مشروعها الفلسفي والسياسي، حيث تآكلت مفاهيم الردع والتفوق، في ظل تصاعد المقاومة الفلسطينية، وانكشاف ضعف المنظومة الأمنية الإسرائيلية، وتزايد عزلتها الدولية. كما اتضح أن تعدد التيارات الصهيونية الداخلية لم يعد مصدر مرونة فكرية، بل أصبح عامل انقسام داخل الهوية الإسرائيلية التي تعيش أزمة هوية واغتراباً سياسياً-روحياً.

إن الصراع في جوهره ليس مجرد نزاع على الأرض، بل هو صراع أيديولوجي بين مشروع يسعى لإعادة إنتاج نفسه عبر السيطرة والعنف المؤسسي، ومقاومة تناضل لاستعادة كينونتها والحق في الوجود. وبذلك تسهم الدراسة في بلورة قراءة فلسفية نقدية للأيديولوجية الصهيونية في ضوء تحولات النسق الإقليمي وإعادة تشكيل موازين القوة في الشرق الأوسط.

The Zionist Ideology in Light of Contemporary Regional Political Changes: An Analytical Critical Study

Abstract:

This study seeks to analyze Zionist ideology as a complex intellectual political system that gathers religious mythologies with modern national vision and western colonial instrumentalization within the framework of the modern international system. Zionism did not emerge merely as a religious national movement, but rather as a philosophical-imperial structure that rearticulated myth into a political project that derives its legitimacy from sacred texts and translates them into a colonial practice grounded in exclusion and domination.

The research problem arises from the contradiction between the Zionist ideological premises, which claim the moral and historical superiority of the Jewish people, and the new structural reality of the regional system, which is witnessing radical transformations such as Al-Aqsa Flood operation in October 2023, the Twelve-Day war between Iran and Israel, the rise of non-state actors, and the collapse of the Syrian regime. These shifts have revealed the limits of Israeli power and the existential crisis of the Zionist project itself.

The objective of study is to analyze the philosophical structure of Zionist ideology by examining the epistemological transformation through which it shifted from its theological framework to a political-colonial function, and by clarifying how this ideology has preserved its capacity for self-reproduction through mechanisms of discourse and

hegemony. The study employs multiple analytical approaches—historical, critical, and inductive—to interpret Zionism through the dialectic of thought and practice, and to reveal its functional structure within the Western system.

The study concluded that Zionist ideology is facing a structural crisis in its philosophical and political project, as the concepts of deterrence and superiority have eroded amid the rise of Palestinian resistance, the exposure of the Israeli security system fragility, and its growing international isolation. It also became clear that the multiplicity of internal Zionist movements is no longer a source of intellectual flexibility, but rather a factor of division within the Israeli identity, which is experiencing an identity crisis and political-spiritual alienation.

At its core, the conflict is not merely a dispute over land, but rather an ideological confrontation between a project that seeks to reproduce itself through domination and institutional violence, and a resistance struggling to regain its identity and right to exist. Thus, this study contributes to the crystallization of a critical philosophical reading of Zionist ideology considering the shifts in the regional system and the reshaping of the balance of power in the Middle East.

مقدمة:

تعد الأيدولوجية الصهيونية من أكثر الأيدولوجيات المعاصرة حضوراً وتأثيراً في الفكر والسياسة الدوليين؛ فهي لم تتبلور بوصفها مجرد مشروع قومي لليهود فقط، بل أصبحت إطاراً فلسفياً وسياسياً معقداً يجمع بين الأسطورة الدينية، والرؤية القومية الحديثة، والتوظيف الاستعماري الغربي. فمنذ أن صاغ المفكر اليهودي النمساوي ناتان بيرنباوم (Nathan Birnbaum) (١٨٦٤ - ١٩٣٧) مصطلح "الصهيونية Zionism" عام ١٨٩٠، مروراً بالمؤتمر الصهيوني الأول في بازل سنة ١٨٩٧ بقيادة ثيودور هرتزل (Theodor Herzl) (١٨٦٠ - ١٩٠٤)، ووصولاً إلى إعلان قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨، فقد ظلت الصهيونية مشروعاً حيوياً يعيد إنتاج نفسه وفقاً للمتغيرات السياسية الإقليمية المختلفة.

لقد تأسس المشروع الصهيوني على مجموعة من الركائز الفكرية، التي منحت حركته السياسية طابعاً وظيفياً يخدم المصالح الغربية؛ إذ إن إسرائيل نشأت بوصفها دولة وظيفية تؤدي دوراً استراتيجياً في قلب المنطقة العربية؛ وتعمل باعتبارها حارساً للمصالح الغربية، وكنقطة ارتكاز للاستعمار في الشرق الأوسط. تواجه الأيدولوجية الصهيونية اختبارات وجودية غير مسبوقة. فقد جاءت عملية طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر ٢٠٢٣؛ لتكشف عن هشاشة وضعف المنظومة الأمنية الإسرائيلية، التي طالما عُدَّت العمود الفقري لشرعية الدولة الصهيونية. فقد نجحت المقاومة الفلسطينية في تقويض صورة الجيش الذي لا يُقهر، وهو ما فتح الباب أمام تساؤلات جذرية داخل المجتمع الإسرائيلي حول مستقبل المشروع الصهيوني نفسه. وإلى جانب ذلك، فقد أسهمت الانتهاكات الإسرائيلية المستمرة لحقوق الفلسطينيين، وارتكابها جرائم حرب وإبادة جماعية في غزة، في فرض عزلة دولية متنامية عليها، تجلت في ملاحقات قضائية في محكمتي: العدل الدولية، والجناية الدولية.

كما مثلت الحروب الإقليمية بالوكالة، وصعود فاعلين من غير الدول مثل: حزب الله والحوثيين، تحديًا مباشرًا للنظرية الأمنية الإسرائيلية. وجاءت حرب الاثني عشر يومًا مع إيران عام ٢٠٢٥؛ لتؤكد حدود القوة العسكرية الإسرائيلية، ولتكشف عن أن التفوق العسكري وحده لم يعد كافيًا لحسم الصراعات في إطار بيئة إقليمية شديدة التعقيد. أضف إلى ذلك التداعيات العميقة التي نتجت عن سقوط نظام بشار الأسد في سوريا، وما ترتب عليه من تغير موازين القوى، وهو ما أعاد تشكيل التوازنات الإقليمية وفتح المجال أمام إسرائيل؛ لتعزيز دورها الوظيفي في المنطقة.

في ظل هذه المستجدات، تبحث هذه الدراسة في مدى قدرة الأيديولوجية الصهيونية على الاستمرار بوصفها إطارًا موجهاً للسياسة الإسرائيلية في مواجهة متغيرات غير مسبوقة: من تطبيع عربي متسارع، إلى حروب إقليمية كبرى كحرب الاثني عشر يومًا مع إيران، إلى تصاعد دور الحوثيين في البحر الأحمر، فضلًا عن الضغوط الدولية المتمثلة في ملاحقة إسرائيل قضائيًا؛ بسبب جرائم الحرب والإبادة الجماعية التي ترتكبها ضد الفلسطينيين، وزيادة عزلتها دوليًا؛ فهذه التحولات تجعل من الضروري إعادة تحليل الأيديولوجية الصهيونية، لا بوصفها مجرد خطاب قومي- ديني، بل بوصفها إطارًا فلسفيًا- وظيفيًا يعيد إنتاج نفسه باستمرار؛ لمواجهة التغيرات الإقليمية.

تسعى هذه الدراسة إلى تحليل الأيديولوجية الصهيونية في ضوء المتغيرات السياسية الإقليمية الحالية، عبر تحليل مرتكزاتها الفكرية والفلسفية، واستعراض توظيفها العملي في السياسات الإسرائيلية، ووصولًا إلى استكشاف آفاقها المستقبلية في ظل التحديات الوجودية التي تطرحها المقاومة الفلسطينية، والتحولات الإقليمية، والتغيرات في مواقف المجتمع الدولي.

أولاً- المشكلة البحثية:

تكمن مشكلة البحث في التناقض القائم بين الطابع الأيدولوجي للصهيونية- بوصفها مشروعًا خلاصيًا يستند إلى الأسطورة الدينية والأساس القومي- وبين الواقع السياسي المعاصر الذي يشهد تغيرات عميقة على المستويين: الإقليمي والدولي. فبينما تسعى الصهيونية إلى تثبيت مقولاتها حول الشعب اليهودي، وأرض الميعاد، والتفوق الأخلاقي، تكشف التحولات الحالية عن أزمة في هذه المقولات نفسها، سواء عبر فشل الردع الإسرائيلي في مواجهة المقاومة الفلسطينية، أو من خلال الضغوط الدولية المتزايدة، أم عبر صعود قوى إقليمية ودولية تعيد تشكيل توازن القوى؛ ومن ثم فإن المشكلة البحثية تدور حول تساؤل رئيس مفاده: كيف تتفاعل الأيدولوجية الصهيونية مع المتغيرات السياسية الإقليمية المعاصرة؟ وما مدى قدرتها على الاستمرار في توجيه السياسات الإسرائيلية؟ ويندرج تحت هذا التساؤل الرئيس جملة من التساؤلات الفرعية تتمثل في:

- ١- ما الجذور الفلسفية والسياسية للأيدولوجية الصهيونية؟
- ٢- كيف أسهمت الأيدولوجية الصهيونية في تشكيل السياسات الإسرائيلية الإقليمية؟
- ٣- ما أثر عملية طوفان الأقصى في المنظومة الأمنية الإسرائيلية؟
- ٤- كيف أثرت حرب الاثني عشر يوماً بين إيران وإسرائيل في قواعد الاشتباك بين الدولتين؟
- ٥- إلى أي مدى أثر الحوثيون في معادلة الصراع الإقليمي؟
- ٦- كيف أثر سقوط نظام بشار الأسد في سوريا على الصراع الإيراني الإسرائيلي؟

ثانياً- هدف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل البنية الفكرية للأيدولوجية الصهيونية من خلال تتبع جذورها التاريخية ورصد مقولاتها التأسيسية وتياراتها المتعددة، بما يمكن من

الكشف عن كيفية تحولها من مجرد أفكار قومية إلى مشروع سياسي-استيطاني له تأثير مباشر في المنطقة. وتسعى الدراسة إلى تفسير التحولات الراهنة في بنية النسق الإقليمي، وبيان الكيفية التي انعكست بها هذه التحولات على السياسات الإسرائيلية في محيطها الإقليمي، مع التركيز على التداخل بين المرجعيات الفكرية الصهيونية ومتغيرات البيئة الاستراتيجية. كما ترمي إلى تحليل أثر الفكر الصهيوني في صياغة السياسات الإسرائيلية الإقليمية وتنفيذها، بما يظهر الدور الحاسم للأيدولوجيا في توجيه القرار الأمني والعسكري والدبلوماسي. وإلى جانب ذلك، تستهدف الدراسة تفسير التغير في قواعد الاشتباك بين إسرائيل وإيران بوصفه انعكاساً لتحولات أوسع في موازين القوى الإقليمية، وتحليل العوامل التي دفعت نحو إعادة ضبط أنماط الصراع. وأخيراً، تولي الدراسة اهتماماً خاصاً بدور الفاعلين الإقليميين من غير الدول في إعادة تشكيل ديناميكيات التوازن والردع، وتوضيح إسهامهم في تعقيد المشهد الاستراتيجي وتوسيع دائرة الصراع. ومن خلال هذا التحليل الشامل، تحاول الدراسة تقديم فهم معمق للعلاقة بين الفكر الصهيوني والسياسات الإسرائيلية، وإبراز انعكاساتها على توازنات الإقليم ومساراته المستقبلية.

ثالثاً- أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة في محاولة طرح فهم للأيدولوجية الصهيونية من منظور الفكر السياسي، وتحليل كيفية تكيفها مع المتغيرات السياسية الإقليمية المعاصرة. وتسعى الدراسة إلى إثراء النقاش الأكاديمي حول الأبعاد الفلسفية والسياسية للصراع الفلسطيني-الإسرائيلي من خلال تحليل عملية طوفان الأقصى، وكذا الصراع الإسرائيلي- الإيراني بأبعاده المختلفة. كذلك تحاول الدراسة سد فجوة معرفية قائمة في الدراسات العربية المتعلقة بالصهيونية؛ إذ غالباً ما ركزت على الجانب التاريخي والسياسي المباشر، من دون التعمق في تحليل بنيتها الأيدولوجية وقدرتها على التكيف مع المتغيرات.

كما تكمن أهمية الدراسة أيضًا في قدرتها على تقديم تحليل واقعي ودقيق لتأثير الأيدولوجية الصهيونية في السياسات والممارسات الإسرائيلية في ظل المتغيرات المعاصرة. من خلال تحليل عملية طوفان الأقصى، يُمكنُ لصناع القرار والمحللين السياسيين فهم كيفية توظيف الفكر الصهيوني لتبرير الإجراءات والسياسات المختلفة؛ مما يساعدهم على اتخاذ قرارات أكثر دقة وفاعلية في التعامل مع الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي. وكذلك من خلال تحليل طبيعة الحرب الإسرائيلية- الإيرانية وتأثيرها في توازن القوى الإقليمي؛ ومن ثمَّ تعد هذه الدراسة محاولة لفهم الأبعاد السياسية والفكرية للأيدولوجية الصهيونية وتأثيراتها في أرض الواقع، مما يسهم في تعزيز الاستقرار والأمن في المنطقة.

رابعاً- منهج الدراسة:

- **المنهج الاستقرائي:** وهو المنهج الذي يقوم على استقراء الواقع؛ إذ يبدأ بملاحظة الواقع كما هو من دون تغيير، ويقف عند حد وصفه، فلا يتجاوز ذلك إلى التعميم. بهدف تحليل ظاهرة الدراسة، وهي الأيدولوجية الصهيونية في ظل المتغيرات المعاصرة، والوقوف على مدى قدرتها على الاستمرار في توجيه السياسات والممارسات الإسرائيلية.
- **المنهج النقدي:** هو طريقة في التفكير يتم من خلالها وضع تصور حول معالجة مشكلة ما؛ بهدف الوصول إلى نتائج بشأنها. وعند تطبيق هذا المنهج على موضوع الدراسة، يمكننا الكشف عن العلاقة العميقة بين الأيدولوجية الصهيونية والهياكل السياسية والاقتصادية التي تسهم في صياغة وتوجيه السياسات الإسرائيلية الإقليمية والدولية. ومن خلال هذا المنهج، يمكن أيضًا تحليل الدور الثنائي الذي تقوم به الصهيونية من دور وظيفي بوصفها أداة للسيطرة على الأرض والموارد، فضلًا عن دورها في صناعة وطن لليهود، وتحليل كيف أن الأيدولوجية الصهيونية لم تتوقف عند حدود تأسيس وطن

قوميّ لليهود، بل تطورت لتشكّل أداةً سياسيّة واقتصاديّة لتعزيز السيطرة على الأرض والموارد. يُبرز المنهج النقديّ كيف تُوظف مفاهيم مثل "الأمن القوميّ" و"الدفاع عن النفس"؛ لتسويغ العنف المنهجيّ والسياسات التوسعيّة ضد الفلسطينيين. يُظهر التحليل أيضًا كيف يتم توجيه الإعلام العالميّ والخطاب السياسيّ الدوليّ؛ لإضفاء الشرعية على هذه الممارسات؛ مما يعزز هيمنة إسرائيل في الساحة الدوليّة.

- **المنهج التحليلي:** اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التحليليّ؛ لفحص الأيديولوجيّة الصهيونيّة وتحولاتها في ظل المتغيرات الإقليميّة الحالية. فقد حلّلت البنية الفكرية للصهيونية إلى عناصرها الأساسيّة، بدءًا من المعتقدات الدينيّة التي شكّلت دعائمها الأساسيّة، ومرورًا بالمنطق الاستعماريّ- الوظيفيّ الذي منحها بعدًا سياسيًا، ووصولًا إلى السياسات العمليّة التي تجسدت في الحروب والاحتلال والتوسع الاستيطانيّ. كما جرى تحليل العلاقات الداخليّة بين الفكر والممارسة، وبين الداخل الإسرائيليّ والخارج الإقليميّ، فضلًا عن دور الفاعلين من غير الدول في إعادة صياغة معادلة الردع. ومن خلال هذا التحليل، أمكن إعادة تركيب الظاهرة في صورة أكثر شمولًا، تكشف عن أن الصراع ليس مجرد مواجهة عسكريّة أو سياسيّة، بل إنه بنية فلسفيّة- أيديولوجيّة تقوم على خطاب الخوف والهيمنة وتواجه اليوم أزمة شرعية وجودية. وبذلك أتاح المنهج التحليليّ تجاوز السرد الوصفيّ للأحداث نحو قراءة أعمق تبرز الترابط الجدليّ بين الأسس الفكرية، والممارسات العمليّة، والنتائج البنيوية للصراع.

- **المنهج التاريخي:** يعد من المناهج الأساسيّة التي اعتمدت عليها هذه الدراسة؛ إذ يسمح بتتبع تطور الأيديولوجيّة الصهيونيّة من جذورها الأولى في الفكر الدينيّ اليهوديّ ووصولًا إلى تبلورها بوصفها حركة سياسيّة استعماريّة مدعومة

من القوى الغربية. وقد مكن هذا المنهج من إظهار الكيفية التي تحولت بها النصوص الدينية، من مثل: أسطورة أرض الميعاد والشعب المختار، إلى مرتكزات أيديولوجية ذات طابع سياسي- وظيفي، استخدمت لتسويق الاستيطان وإقامة الدولة العبرية في فلسطين. كما أتاح المنهج التاريخي الكشف عن مراحل التحول التي مرت بها الصهيونية في سياقات مختلفة: من الفكر الديني إلى المشروع القومي، ومن الدعم الأوروبي إلى التحالف مع الولايات المتحدة، ومن الكيانية الاستيطانية إلى القوة الإقليمية ذات الطموحات التوسعية. وبهذا المعنى، ساعد هذا المنهج على ربط الماضي بالحاضر، موضحة أن السياسات الإسرائيلية الحالية ليست أحداثاً معزولة، بل إنها امتداد لمسار تاريخي طويل يبرز الطابع الاستعماري- الأيديولوجي للمشروع الصهيوني.

خامساً- تقسيم الدراسة:

تنقسم الدراسة إلى مقدمة وأربعة محاور، وخاتمة تتضمن نتائج الدراسة، وقائمة المصادر والمراجع، أما المحور الأول فيتناول الأيديولوجية الصهيونية ورؤية إسرائيل للشرق الأوسط، وفيه تحلل الدراسة الأسس الفكرية للأيدولوجية الصهيونية، والركائز التي تقوم عليها التوجهات الإسرائيلية تجاه الإقليم في ظل حكومة اليمين المتطرف برئاسة بنيامين نتنياهو. أما المحور الثاني، فيركز على الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، لا سيما عملية طوفان الأقصى، والتداعيات المترتبة عليه. ولقد جاء المحور الثالث بعنوان الحرب الإسرائيلية الإيرانية، وفيه تركز الدراسة على مفهوم الحرب بالوكالة بوصفها الأساس الذي يقوم عليه الصراع بين الدولتين، وكذلك تتطرق الدراسة لوكلاء إيران في منطقة الشرق الأوسط، لاسيما الحوثيين في اليمن، ومدى تأثير سقوط نظام بشار الأسد بسوريا فيما يسمى محور المقاومة في المنطقة. وأخيراً يدور المحور الرابع حول حرب الإثني عشر يوماً، وتداعيات هذه الحرب على توازن القوى في المنطقة.

سادساً- دراسات سابقة:

١-دراسة بعنوان: الأيديولوجيا الصهيونية وتأثيرها على السياسة الإسرائيلية تجاه القضية الفلسطينية (١٩٤٨-٢٠٠٠)^(١):

استهدفت الدراسة تحليل تطور الفكر الصهيوني وانعكاساته على السياسات الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين. وقد اعتمد الباحث على المنهج التاريخي التحليلي لتتبع مراحل تطور الأيديولوجيا الصهيونية وتأثيرها في صنع القرار السياسي في إسرائيل. وقد توصلت الدراسة إلى أن الأيديولوجيا الصهيونية شكلت العمود الفقري للسياسات الإسرائيلية، وأنها تطورت من فكرة إقامة وطن قومي لليهود إلى مشروع توسعي يستهدف السيطرة على الأراضي الفلسطينية. ومع ذلك، يؤخذ على الدراسة تركيزها الشديد على الجانب الأيديولوجي من دون الاهتمام الكاف بالعوامل الجوسياسية والاقتصادية التي أثرت أيضاً في السياسات الإسرائيلية.

٢-دراسة بعنوان: حالة ما بعد الصهيونية ومستقبل المجتمع الإسرائيلي: دراسة في طبيعة الحالة وتحولاتها المحتملة في ضوء انعكاساتها المجتمعية^(٢):

استهدفت الدراسة تحديد طبيعة حالة ما بعد الصهيونية، والتعمق في تناول انعكاساتها على المجتمع الإسرائيلي، وبيان مدى تغلغل تلك الانعكاسات داخل المجتمع، مع محاولة صياغة رؤية مستقبلية للمجتمع الإسرائيلي من خلال التنبؤ بتأثير انعكاسات ما بعد الصهيونية فيه، وذلك في أكثر من جانب. وقد انتهت

^(١) محمد صالح، الأيديولوجيا الصهيونية وتأثيرها على السياسة الإسرائيلية تجاه القضية الفلسطينية (١٩٤٨-٢٠٠٠)، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ٢٠٠٢.

^(٢) محمد محمود، حالة ما بعد الصهيونية ومستقبل المجتمع الإسرائيلي: دراسة في طبيعة الحالة وتحولاتها المحتملة في ضوء انعكاساتها المجتمعية، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ٢٠٢١.

الدراسة إلى أن ما بعد الصهيونية عبارة عن حالة مجتمعية، أدت إلى عدد من التحولات فيما يتعلق بهوية إسرائيل السياسية، وسياساتها الاقتصادية، والهياكل الطبقيّة في المجتمع، والنظرة إلى طبيعة الصراع مع الفلسطينيين. وأنها كانت حالة حتمية الحدوث؛ لأن إسرائيل بوصفها دولة قامت على أيديولوجية ظرفية مرحلية، هي الصهيونية. وقد كشفت كل التحولات التي مر بها المجتمع الإسرائيلي منذ عام ١٩٦٧ عن التناقضات التي تعيشها الصهيونية، وعن أزماتها البنوية، ومن ثمّ عدم قدرتها على النجاة بدولة إسرائيل لعقود. وهو ما خلق ردة فعل قوية ومتطرفة لدى الصهيونية، ممثلة في الدولة ومؤسساتها، فقد سعت إلى توطيد أركان المقاومة الصهيونية، ومد أذرع التشدد إلى كل جوانب المجتمع الإسرائيلي. أي أن حالة ما بعد الصهيونية دفعت بالصهيونية وإسرائيل باعتبارها دولة تجاه اليمين المتطرف، في نسخة أكثر تشدداً للصهيونية، ومن المتوقع أن يستمر هذا التطرف لعقود، لتظل مفاهيم مثل: الصراع الممتد، والتهديدات الوجودية هي محور العقيدة الأمنية والسياسية الإسرائيلية.

٣-دراسة: رؤى التيارات الفكرية في إسرائيل لقضية يهودية الدولة^(٣):

انطلقت الدراسة من تحليل المواقف المتباينة تجاه قضية يهودية الدولة، كما تجلت في ثلاث رؤى رئيسة داخل المجتمع الإسرائيلي. أولها تيار الصهيونية الجديدة، وهو تيار أصولي ديني متشدد يسعى إلى تكريس الطابع الديني للدولة الإسرائيلية عبر مشروع شامل؛ لتهويد مؤسساتها وهويتها. أما الثاني فهو تيار ما بعد الصهيونية، وهو تيار أكاديمي نقدي يتبنى خطاباً علمانياً ديمقراطياً، يهدف إلى إعادة صياغة إسرائيل، بوصفها دولة مدنية جامعة لجميع مواطنيها من اليهود

^(٣) إنجي فخري، رؤى التيارات الفكرية في إسرائيل لقضية يهودية الدولة، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ٢٠٢٣.

والفلسطينيين على أسس المساواة. في حين أن الثالث يتمثل في رؤى الفلسطينيين داخل إسرائيل، الذين قدموا مقاربات متعددة كان من أبرزها الدعوة إلى تحويل إسرائيل إلى دولة ديمقراطية خالصة، يعيش فيها الفلسطينيون واليهود جنباً إلى جنب في إطار من الشراكة والمواطنة المتكافئة. وقد خلصت الدراسة إلى أن ثمة علاقة جدلية متبادلة بين إشكالية يهودية الدولة وأزمة الهوية في إسرائيل؛ إذ أسهمت أزمة الهوية في المجتمع الإسرائيلي في تغذية الخطابات الأصولية الداعية إلى التهويد، وفي الوقت نفسه دفعت هذه الأيديولوجية إلى بلورة رؤى مضادة تدعو إلى تكريس الديمقراطية على أساس المساواة في المواطنة، بما يعكس دينامية التفاعل بين الدين والقومية والهوية المدنية في السياق الإسرائيلي.

امتازت الدراسات السابقة بتتبع تطور الأيديولوجية الصهيونية ورصد انعكاساتها الفكرية والمجتمعية. إلا أنها أغفلت الأبعاد الجيوسياسية والاقتصادية والإقليمية، وركزت على الجانب الأيديولوجي فقط. وبذلك تبقى عاجزة عن تفسير التحولات المعاصرة التي شهدتها إسرائيل في العقدين الأخيرين، وهو ما تسعى هذه الدراسة إلى معالجته؛ فهي تتجاوز ذلك الطرح التقليدي من خلال اعتماد المنهج التحليلي وربطه بالمنهج التاريخي والاستقرائي، بما يسمح بتحليل الأيديولوجية الصهيونية وتحليل انعكاساتها المباشرة على السياسات الإسرائيلية الإقليمية. مع إدخال أبعاد جديدة مثل: دور الفاعلين من غير الدول وتحولات التوازنات الإقليمية. ومن ثم، فإن الفارق الجوهرى بين هذه الدراسة والدراسات السابقة يتمثل في أنها لا تكتفي بالوصف أو التفسير، بل تقدم تحليلاً فلسفياً- سياسياً نقدياً متداخل الأبعاد؛ الأمر الذي يمنحها بعداً تطبيقياً يربط الفكر بالواقع.

المحور الأول: الأيدولوجية الصهيونية ورؤية إسرائيل للشرق الأوسط

يُشكل مفهوم الأيدولوجيا إحدى الركائز الأساسية لفهم التحولات الفكرية والسياسية التي شهدتها العالم الحديث، وهو المفهوم الذي وُلد في سياق الثورة الفرنسية مع أنطوان ديستوت دو تراسي، بوصفه محاولة لتأسيس علم للأفكار، قبل أن يتحول إلى أداة سياسية- صراعية في يد نابليون، ثم يتطور لاحقاً في أعمال أوجست كونت ليغدو أساساً لعلم الاجتماع. ومن هنا يمكن النظر إلى الأيدولوجية الصهيونية بوصفها نتاجاً مركباً لمسارين متوازيين: الأول- فلسفي أوروبي، سعى إلى تحويل الأفكار إلى أدوات تفسيرية لتنظيم المجتمعات؛ والثاني، يهودي- ديني، أعاد إنتاج النصوص التوراتية بوصفها أساطير مؤسسة ذات وظيفة سياسية. فالصهيونية لم تكن مجرد حركة قومية يهودية، بل أيدولوجية استيطانية وُظفت؛ لتبرير إقامة كيان سياسي في فلسطين، من خلال الجمع بين أسطورة "الأرض الموعودة" ومنطق الكولونيالية الحديثة. إن هذا المزج بين الديني والأسطوري من جهة، والسياسي والاستعماري من جهة أخرى، وهو ما منح الصهيونية طابعها الخاص الذي يميزها عن بقية الأيدولوجيات القومية.

أولاً- التعريف بالأيدولوجية:

تعني في اللغة الفرنسية- أصل نشأتها- بأنها علم الأفكار^(٤). وتعرف على أنها نسق من التمثلات يتمتع بوجود ودور تاريخيين داخل مجتمع معين^(٥). تتكون الأيدولوجيا من كلمتين في اللغة اليونانية، Idea وتعني الفكرة، وكلمة Logos وتعني العلم، وبذلك تكون في دلالتها اللغوية هي علم الأفكار. ويرجع

(٤) عبدالله العروي، مفهوم الأيدولوجيا، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠١٢، ص ٩.

(٥) محمد سبيلا، عبدالسلام بنعبد العالي، الأيدولوجيا. في دفاتر فلسفية: نصوص مختارة، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، ٢٠٠٦، ص ٨.

الفضل في ظهور هذا المفهوم إلى الفيلسوف الفرنسي دو تراسي (Antoine Louis Claude Destutt de Tracy) (١٧٥٤ - ١٨٦٣) في كتابه عناصر الأيديولوجيا، وقصد به العلم الذي يدرس مدى صحة أو خطأ الأفكار التي يعتنقها الأفراد والجماعات داخل مجتمعاتهم^(٦).

طُرح مصطلح الأيديولوجيا في الفترة المضطربة التي سبقت الثورة الفرنسية وبعدها. ولقد صاغه مبتكره، "الأيديولوجيون" الفرنسيون، في محاولة منهم لوصف علم جديد رُسم في إطار برنامج التنوير، ألا وهو تدريس الأفكار. فقد افترضوا أن الأفكار يمكن دراستها، بوصفها فئات عالمية وقانونية. ثم استخدم أوجست كونت (Auguste Comte) (١٧٩٨ - ١٨٥٧) لاحقاً هذا النهج لدراسة المجتمع؛ إذ صاغ هو نفسه مصطلح علم الاجتماع. وقد افترض فلاسفة التنوير أن الأفكار والمجتمعات تنتمي إلى نفس فئة الطبيعة، وأنها تتبع - بالتالي - أنماطاً منتظمة وعامة تتوافق مع القوانين، وكان هدف علمي الأيديولوجيا والاجتماع الجديدين هو استكشاف هذه القوانين^(٧).

حوّل نابليون مصطلح الأيديولوجيا من تعبير عن تصور أكاديمي لعلم جديد يستكشف كيفية توافق الأفكار مع القوانين إلى مفهوم سياسي للصراع؛ ففقد المصطلح دلالاته الفلسفية اللاسياسية وأصبح مصطلحاً شائعاً في النقاش العام. ولقد واجه نابليون الأيديولوجيين بحجة أنهم خياليون ومنفصلون عن الواقع. كما

^(٦) محمد سبيلا، ونوح الهرموزي، موسوعة المفاهيم الأساسية في العلوم الإنسانية والفلسفة، الرابط، المركز العلمي العربي للأبحاث والدراسات الإنسانية، ٢٠١٧، ص ٨١.

^(٧) BO Strath, **Ideology and Conceptual History**, In **THE OXFORD HANDBOOK OF POLITICAL IDEOLOGIES**, Edited by MICHAEL FREEDEN, LYMAN TOWER SARGENT and MARC STEARS, 2013, Oxford University Press, United Kingdom. Pp17-18.

هاجم على وجه الخصوص الأيديولوجي الرائد أنطوان لويس كلود ديستوت دو تراسي، الذي أدخل مصطلح الأيديولوجيا في اللغة الفلسفية في محاضرة ألقاها في المعهد الوطني بباريس عام ١٧٩٦^(٨).

ولقد صاغ أنطوان ديستوت دو تراسي كلمة أيديولوجيا خلال الثورة الفرنسية، واستخدمت لأول مرة علناً في عام ١٧٩٦. وتشير الأيديولوجية عنده إلى علم الأفكار الجديد. فقد اعتقد أنه من الممكن الكشف عن أصول الأفكار بشكل موضوعي، وأعلن أن هذا العلم الجديد سيحظى بنفس مكانة العلوم الراسخة مثل علم الأحياء وعلم الحيوان. وبشكل أكثر جرأة، اقترح دو تراسي أن الأيديولوجيا ستتوج في النهاية بوصفها ملكة للعلوم؛ ذلك لأن جميع أشكال البحث تستند إلى الأفكار^(٩).

يذهب كارل مانهايم (١٨٩٣-١٩٤٧) (Karl Mannheim) إلى التمييز بين مستويين في دلالة مفهوم الأيديولوجيا: المعنى الجزئي والمعنى الكلي. ففي المستوى الجزئي، تُفهم الأيديولوجيا باعتبارها ضرباً من الكذب الوجداني أو الخداع النفسي، وهو معنى ذو طبيعة سيكولوجية بالأساس. فالفرد الذي يتبنى هذا الفهم يكون قادراً - نظرياً - على التفكير بطريقة مغايرة لما يؤمن به، ولا سيما إذا ساوره الشك تجاه الآراء والمفاهيم التي يطرحها خصومه أو التي تشيع في المجال الفكري العام. غير أن هذا المنظور يؤدي بالضرورة إلى قصور في الإدراك الموضوعي للواقع الاجتماعي، إذ يجعل الفرد أسيراً لتحيزاته النفسية. ويظهر

(٨) Ibid. p 18.

(٩) Andrew Heywood, **Political Ideologies: An Introduction**, Palgrave Macmillan, 1992, P6.

الطابع المميز لهذا المفهوم الجزئي تحديداً حين يوضع في مقابل المفهوم الكلي للأيديولوجيا^(١٠).

أما المفهوم الكلي، فهو يتجاوز الفرد؛ ليشير إلى أيديولوجية عصر كامل، أو إلى مرحلة تاريخية محددة، أو إلى بنية فكرية خاصة بفئة اجتماعية واضحة السمات. فهنا لا ينحصر الاهتمام في العوامل النفسية الفردية، بل يعنى بتحليل البناء الكلي للعقل في سياقه التاريخي والاجتماعي. وإذا كان المفهوم الجزئي يفسر الأفكار والآراء بردها إلى مستوى سيكولوجي مرتبط بالمصالح الفردية، فإن المفهوم الكلي ينسب هذه الأفكار إلى شروط المرحلة التاريخية نفسها، ويعتمد على التحليل الوظيفي والوصف الموضوعي للفوارق البنائية بين أنماط التفكير التي تتشكل داخل مركبات اجتماعية متباينة^(١١).

ومن ثم، ينطلق المفهوم الجزئي من فرضية أن "المصلحة الفردية" هي السبب الكامن وراء الكذب أو الخداع الأيديولوجي، في حين يفترض المفهوم الكلي وجود علاقة تطابق بين وضع اجتماعي محدد وبين وجهة نظر فكرية بعينها. فالنقطة المرجعية في الفهم الجزئي هي دائماً الفرد- حتى حين الحديث عن الفئة الاجتماعية- لأن الظواهر النفسية تختزل إلى أذهان الأفراد. أما في الفهم الكلي، فيتم تجاوز هذا الاختزال باتجاه إعادة بناء الرؤية الكلية للفئة الاجتماعية بوصفها وحدة فكرية وتاريخية، بحيث تُفهم الخلفيات النظرية التي تفسر المواقف والأحكام

(10) Karl Mannheim, **Ideology and Utopia: An Introduction to the Sociology of Knowledge**, New York: Harcourt, Brace, 1936, pp.55-57.

(11) Ibid. pp. 58-60.

الفردية. ومن هنا، يتكشف البعد الجماعي والذهني للأيدولوجيا باعتبارها نتاجاً
لجدل بين الوعي الفردي والبنية الاجتماعية الكلية^(١٢).

تعرف الأيدولوجيًا على أنها عقيدة وثقافة سياسية، يتقاسمها ويشترك فيها
مجموعة من الأفراد، سواء في إطار دولة أم حزب سياسي أم نقابة مهنية. وهي
عبارة عن نسق فكري عام يقدم تفسيرات وتأويلات للطبيعة والمجتمعات والأفراد.
كما أنها عبارة عن مجموعة من الأفكار الاجتماعية والثقافية والسياسية
والاقتصادية، التي تنتهجها الأحزاب السياسية؛ لتولي مقاليد الحكم في دولة معينة
وممارسة السلطة، أو لانتقاد أنظمة الحكم القائمة والسياسات التي تنتهجها^(١٣).

كما أنها عبارة عن إطار متكامل وواضح من الأفكار والقيم السياسية،
والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، التي تطمح وتضع الأسس الرئيسية لنظام
اجتماعي مثالي يجسد طريقة خاصة بالحياة. وتهتم أي أيدولوجية بمجموعة من
التفصيلات تتمثل في طبيعة النظام السياسي الأفضل، والطريقة الأفضل لممارسة
السلطة، ودور المواطن في صنع القرار، طبيعة النظام الاجتماعي والثقافي
الأفضل، والأهداف المثلى التي يجب أن يسعى النظام السياسي إلى تحقيقها^(١٤).

يعرفها أندرو هيود (Andrew Heywood, 1952----) على أنها مجموعة
متماسكة، بدرجة تزيد أو تنقص، من الأفكار التي تضع أساساً للنشاط السياسي
المنظم، سواء أقصد به الحفاظ على نظام القوة القائم أم تعديله أم الإطاحة به؛
ولذلك تقدم كل الأيدولوجيات توصيفاً للنظام القائم، عادة ما يكون في شكل رؤية

^(١٢) عبدالرحمن خليفة، أيدولوجية الصراع السياسي: دراسة في نظرية القوة، الإسكندرية، دار
المعرفة الجامعية، ١٩٩٩، ص ١٠٧-١٠٨.

^(١٣) محمد سبيلا، ونوح الهرموزي، مرجع سابق، ص ٨٠-٨١.

^(١٤) مصطفى خشيم، موسوعة علم العلاقات الدولية: مفاهيم مختارة، ليبيا، الدار الجماهيرية
للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤، ص ١٣١.

كونية، كما أنها تقدم نموذجًا للمستقبل المستهدف، أي تقدم رؤية عن المجتمع الصالح، بالإضافة إلى أنها تفسر كيف يجب ومتى يمكن إحداث التغيير السياسي^(١٥).

تجدر الإشارة إلى أن الأيديولوجية، بوصفها نظامًا كاملاً من القيم والأفكار، ليست محصورة في إطار نظام سياسي معين؛ بل إن معظم الأيديولوجيات المعاصرة تسعى إلى نشر أفكارها إلى بقية الدول الأخرى. ويرجع الصراع الأيديولوجي الذي ساد العالم في فترة الحرب الباردة، إلى سعي الدول لنشر أيديولوجيتها في الخارج عن طريق وسائل مشروعة وغير مشروعة. وقد تلجأ الدول في إطار الحرب الأيديولوجية إلى وسائل مختلفة لنشر أيديولوجيتها مثل الدعاية، وتبادل البرامج الثقافية والعلمية، وتقديم المساعدات المالية والتكنولوجية، وأي وسائل أخرى تفيد في تحقيق ذلك مثل الاشتراك في محاولات انقلابية ودعم حركات انفصالية^(١٦).

في إطار الصراع الأيديولوجي والسياسي، يحاول كل طرف متبني لأيديولوجية معينة كسب مؤيدين لها من خلال عملية التوجيه الأيديولوجي، فيروج لمبادئها باعتبارها الأفضل، ويبحث عن نقاط الضعف في الأيديولوجيات المنافسة ليظهرها ويبالغ في انتقاد عيوبها وسلبياتها، بالرغم من أن الأيديولوجية التي يتبناها هو نفسه لا تخلو من السلبيات التي غالبًا ما يحاول إخفائها إلى أن يأتي من يكشفها ويستخدمها ضده^(١٧).

(15) Andrew Heywood, Op. cit. Pp 10-11.

(16) مصطفى خشيم، موسوعة علم العلاقات الدولية: مفاهيم مختارة، مرجع سابق، ص ١٣١-١٣٢.

(17) سهير حنفى، التوجيه الأيديولوجي وأثره على الثقافة السياسية بين الفكر الشمولي والديمقراطي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠، ص ٣٣.

يرى Edward shils أن الأسباب التي تجعل فردًا ما بتبني نسق أيديولوجي معين تتمثل في أن الأيدولوجيا تعتبر نتاجًا لحاجة الإنسان لفرض نظام فكري؛ نظرًا لاحتياجه إلى خريطة إدراكية وأخلاقية للعالم، كما أن الأيدولوجيات تظهر في أوقات الأزمات، وتبرز لدى قطاعات المجتمع التي لم تعد تقبل وجهة النظر السائدة في السابق^(١٨).

يمكن تقسيم الأيدولوجية من حيث تأثيرها إلى ثلاثة أنواع وهي: الأيدولوجيات الفرعية، التي يمكن أن توجد في إطار الدولة الواحدة، وينتمي إلى كل منها قطاع معين من قطاعات الرأي العام الداخلي. ويتمثل النوع الثاني في الأيدولوجيات القومية، وهي تلك التي يمتد تأثيرها إلى الدولة كلها؛ مما يجعل المناخ الفكري والسياسي العام فيها على نحو معين. وأخيرًا الأيدولوجيات الدولية أو عبر القومية، أي تلك التي ينتمي إليها وتتأثر بها أكثر من دولة مثل: الماركسية أو أيدولوجية عدم الانحياز^(١٩).

تلعب الأيدولوجية دورًا مهمًا في تقرير الأهداف القومية للدولة؛ فهي التي تهيئ المناخ الفكري والسياسي الذي يعمل في إطاره واضعو السياسات الخارجية؛ ومن ثم قد تشكل الأيدولوجية أداة لتحقيق التقارب في اتجاهات الدول أحيانًا أكثر من كونها عاملاً للاختلاف والشقاق، وذلك خلافًا للقومية التي تؤكد في جوهرها على الفوراق والفواصل التي تقسم بين الدول^(٢٠).

(١٨) المرجع السابق، ص ٣٢.

(١٩) إسماعيل مقلد، العلاقات السياسية الدولية: دراسة في الأصول والنظريات، القاهرة. المكتبة

الأكاديمية، ١٩٩١، ص ٦٦.

(٢٠) المرجع السابق، ص ١٥٢-١٥٣.

يرى فرانسيس بول بينوا (Francis-Paul B noit, 1921-2017) أن الأيديولوجيا السياسية تمثل نسقاً مترابطاً من الأفكار، يشكل إطاراً عاماً لفهم المجتمع، كما أنها لا تقتصر على توصيف الواقع، بل تتجاوز ذلك لاقتراح نموذج للمجتمع المنشود^(٢١).

يميز أحمد صبحي (١٩٢٨-٢٠٠٤) بين الأيديولوجيا والمذهب الفلسفي مبرراً نقاط الاختلاف الجوهرية بينهما. فكلاهما يُعد محاولة إنسانية؛ لتفسير الواقع وإضفاء معنى على التجربة الإنسانية، غير أن الفيلسوف يتخطى حدود المشكلات الإنسانية المباشرة لينفتح على الكون برمته، باحثاً في أسس الوجود والمعرفة والقيم في إطار كوني شامل. أما الأيديولوجي، فيبقى أسيراً لمشكلات الإنسان الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، محاولاً صياغة حلول عملية ضمن إطار فكري محدد. كما أن الفيلسوف- بطبيعته- لا يسعى إلى تعميم مذهبه أو نشره على نطاق جماهيري واسع، بل يقصره غالباً على نخبة من المثقفين القادرين على استيعاب أفكاره. وفي المقابل، يتجه الأيديولوجي إلى توسيع دائرة أفكاره، ساعياً إلى نشرها بين مختلف قطاعات المجتمع، إذ يحرص على أن تتحول رؤيته النظرية ومثالياته إلى مشروع عملي قابل للتطبيق؛ ومن ثم فإن نجاح الأيديولوجي يُقاس بقدرته على نقل ما يراه من فكر مجرد إلى ممارسات واقعية ملموسة، وبذلك يحقق وظيفته الأساسية كأيديولوجيا فاعلة في المجال الاجتماعي والسياسي^(٢٢).

^(٢١) سهير حنفى، التوجية الأيديولوجي وأثره على الثقافة السياسية بين الفكر الشمولي

والديمقراطي، مرجع سابق، ص ٣١.

^(٢٢) عبدالرحمن خليفة، أيديولوجية الصراع السياسي: دراسة في نظرية القوة، مرجع سابق،

ص ١١٠.

كما يرى أن الأيدولوجيا تلقت مع المعتقد الديني في كونها أداة لتشكيل العلاقات الاجتماعية وصياغة الروابط بين الأفراد. فهي، مثل الدين، تنتج حالة من الالتحام العضوي بين المعتقدين أو الأتباع؛ مما يخلق شعورًا بالانتماء والاندماج داخل جماعة فكرية أو روحية موحدة. وعلى النقيض من ذلك، تخلق علاقة خصومة، بل وعداء، مع من يخالفها أو يقف ضدها. وينشأ النسق الأيدولوجي، على غرار المعتقد الديني، انطلاقًا من شخصية ذات قدرة إبداعية، وروحية، وفكرية عالية، يلتف حولها عدد من الصفوة أو الأقلية المبدعة التي تعمل على نشر العقيدة أو الأيدولوجيا، وتنهض بدور القدوة الروحية أو الفكرية للجماعة. ويهدف كلا الطرفين - الدين والأيدولوجيا - إلى إحداث عملية إحلال روحي وفكري ووجداني في بنية المجتمع، بغية إزاحة النسق القديم، سواء أكان دينيًا أم أيدولوجيًا، وإحلال نسق جديد مكانه يعيد تنظيم الوعي الجمعي ويوجه مساراته الفكرية والاجتماعية^(٢٣).

ثانيًا- التعريف بالصهيونية:

تعود أصول الصهيونية وأهدافها الاجتماعية والسياسية إلى هرتزل حتى عام ١٩٤٨ وإعلان دولة إسرائيل^(٢٤). وتتمثل البداية الحقيقية للحركة الصهيونية بوصفها حركة سياسية في المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في بازل بسويسرا عام ١٨٩٧ تحت رئاسة المؤسس الحقيقي للحركة هرتزل^(٢٥).

(٢٣) المرجع السابق. ص ١١٠.

(24) Avineri Shlomo, Zionism, Editor(s): Neil J. Smelser, Paul B. Baltes, **International Encyclopedia of the Social & Behavioral Sciences**, Pergamon, 2001, Pp 16683-16685.

(٢٥) صلاح الدين عبيد، الخطط الصهيونية في مجال التطبيق، **المجلة**، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، العدد ٤٧، ١٩٦٠، ص ٧.

تعد الحركة الصهيونية حصيلة ما يسمى حركة التنوير اليهودية، التي نشأت في القرن التاسع عشر؛ للبحث عن طريقة تمكن اليهود من المساهمة في حياة المجتمع العلماني المعاصر، من دون أن يفقدوا هويتهم الدينية. ولكن في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تعرضت حركة الإصلاح هذه إلى الانتقاد بحجة أنها ستؤدي باليهود إلى الذوبان من خلال الانصهار، ولهذا السبب راحوا يبحثون عن طرق أخرى يستطيع اليهود من خلالها أن يعيشوا العالمين: عالم اليهود الخاص والعالم الحديث^(٢٦).

تشير كلمة صهيون في التراث الديني اليهودي إلى جبل صهيون والقدس، ويشير اليهود إلى أنفسهم باعتبارهم بنت صهيون، كما تستخدم الكلمة للإشارة إلى اليهود بوصفهم جماعة دينية^(٢٧). وقد صاغ هذا المصطلح المفكر اليهودي النمساوي ناتان بيرنباوم في عام ١٨٩٠ في مجلة الاعتقاد الذاتي، وشرح دلالاته في خطاب له في عام ١٨٩١ جاء فيه أن الصهيونية هي إقامة منظمة تضم الحزب القومي السياسي بالإضافة إلى حزب أحماء صهيون ذي التوجه العملي. ثم صرح في المؤتمر الصهيوني الأول أن الصهيونية ترى أن القومية والشعب والعرق شئ واحد، وبالتالي أعاد تعريف دلالة مصطلح الشعب اليهودي من جماعة دينية إثنية إلى جماعة عرقية مستبعداً الجانب الديني منه تماماً^(٢٨).

(٢٦) محمد محفل، الجذور العنصرية- الفاشية للصهيونية، دراسات استراتيجية، مجلد ٢، العدد

٤، ٢٠٠٢، ص ٢١٧-٢١٨.

(٢٧) عبد الوهاب المسيري، تاريخ الفكر الصهيوني: جذوره ومساره وأزمته، القاهرة، دار

الشروق، ٢٠١٠، ص ١٤.

(٢٨) كاظم مهدي، ما بعد الصهيونية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٦،

ص ١٩-٢٠.

تعرف الموسوعة البريطانية الصهيونية بأنها حركة قومية يهودية تهدف إلى إنشاء ودعم دولة قومية يهودية في فلسطين^(٢٩). في حين يعرفها حامد ربيع بأنها تلك العقيدة السياسية التي تقوم على أساس دعوة جميع اليهود للعودة إلى الأرض المقدسة لتكوين الدولة الإسرائيلية؛ استجابة إلى الأمر الإلهي الذي فرض على تلك الجماعة أداء وظيفة حضارية في قيادة الإنسانية المعذبة إلى الكمال الروحي، جاعلة من الوكالة اليهودية أدواتها المباشرة؛ لتحقيق عملية الاستيعاب الأولى للغزو اليهودي في الأرض المقدسة^(٣٠).

وقد وضع عبدالوهاب المسيري مجموعة من الثوابت والمسلمات؛ لتفسير مصطلح الصهيونية، ولخصها في أن اليهود شعب عضويّ منبوذ وغير نافع يجب نقله إلى أي بقعة خارج أوروبا؛ ليصبح شعباً نافعاً. وقد وقع الاختيار على فلسطين؛ بسبب أهميتها الاستراتيجية للحضارة الغربية، ليستوطنها ويحل محل سكانها الأصليين، الذين يجب إبادتهم أو طردهم على الأقل. ويوظف هذا الشعب لصالح الغرب، الذي سيدعمه ويضمن بقاءه واستمراره داخل إطار الدولة الوظيفية في فلسطين^(٣١). كما يرى أن أسباب ظهور الصهيونية تتمثل في^(٣٢):

(29) Britannica Academic, s.v. "Zionism," accessed August 29, 2025, <https://08107mc1t-1103-y-https-academic-eb-com.mplbci.ekb.eg/levels/collegiate/article/Zionism/78399>.

(٣٠) كاظم مهدي، ما بعد الصهيونية، مرجع سابق، ص ٢١.

(٣١) عبد الوهاب المسيري، تاريخ الفكر الصهيوني: جذوره ومساره وأزمته، مرجع سابق، ص ١٨.

(٣٢) عبد الوهاب المسيري، الصهيونية وخيوط العنكبوت، دمشق، دار الفكر، ٢٠١٤، ص ٦٠-٦٣.

١. فشل الغرب المسيحي في التوصل إلى رؤية واضحة لوضع الأقليات، لاسيما اليهود؛ بوصفهم قتلة المسيح ثم الشعب الشاهد على عظمة الكنيسة وفقاً للرؤية الكاثوليكية، وأداة الخلاص وفقاً للرؤية البروتستانتية؛ إذ لا يمكن الخلاص من دون عودة اليهود إلى فلسطين وتنصيرهم.

٢. وضع اليهود بوصفهم جماعة وظيفية داخل المجتمع الغربي، وتعرف الجماعات الوظيفية على أنها مجموعة بشرية صغيرة يسند إليها المجتمع وظائف معينة، ويرى أعضاء هذا المجتمع أنهم لا يمكنهم القيام بها لأسباب مختلفة. لكن بعد ظهور البرجوازيات المحلية والدولة القومية، اهتز وضع اليهود كجماعة وظيفية وكان عليهم البحث عن وظيفة جديدة، ومن هنا جاءت فكرة الحل الاستعماري الغربي للمسألة اليهودية، وهو إعادة إنتاج الجماعة الوظيفية على هيئة دولة وظيفية. وهي الدولة التي يتم تأسيسها أو إعادة صياغة توجهها أو توجه نخبها الحاكمة للقيام بوظيفة معينة، ويتمثل جوهرها في هذه الوظيفة. وتنتم إسرائيل، الدولة الصهيونية الوظيفية، بكل سمات الجماعة الوظيفية؛ إذ تخدم المصالح الغربية نظير أن يقوم الغرب بحمايتها، وهي دولة منعزلة عن محيطها الحضاري، فهي تتصور أنها منفصلة عن الزمان والمكان، ولديها إحساس كبير بتفوقها، ورسالتها المقدسة، وتتبنى أخلاقيات مزدوجة في علاقاتها مع الذات والآخر.

ينطلق أصحاب هذه الأيديولوجية من أن الشعوب التي يعيش بينها اليهود هي شعوب لا سامية، وأنها صفة أبدية قائمة بين كل الشعوب قاطبة، وبسبب طابعها العدائيّ أنشأت الشعب اليهودي ووحدته من دون إرادته ورغبته. وترى القيادة الصهيونية أن اللاسامية لا تشكل خطراً على الصهيونية، بل هي عامل مساعد

في تحقيق برامجها، انطلاقاً من مقولة هرتزل بأن أعداء اليهود هم الذين جعلوهم شعباً واحداً. وقد ذهب هرتزل إلى ما هو أبعد من ذلك؛ إذ يرى أن اللاسامية قوة غير واعية لن تضر باليهود، ولكنه يعدها حركة مفيدة؛ لتطوير الخلق اليهودي^(٣٣).

وقد وجدت الصهيونية صعوبة كبيرة في الانتشار بين الطوائف اليهودية في أوروبا الغربية؛ إذ ظهرت المنظمة الصهيونية في البداية، والدليل على ذلك رفض الطائفة اليهودية في ميونخ عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينتها، مما دفع القائمين عليه إلى عقده في بازل بسويسرا^(٣٤).

استناداً إلى المقولتين، أبدية اللاسامية ووجود الشعب اليهودي بفضل أعدائه، توصلت الصهيونية إلى أن مشكلة اليهود لا حل لها بدون تجميع الشتات اليهودي في مركز واحد، فيقيمون دولتهم وتنتهي مشكلتهم^(٣٥).

بالرغم من أن المنظمة الصهيونية دعت في مؤتمرها الأول - ١٨٩٧ - إلى إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، فإنها تراجعت في عام ١٩٠٣ ووافقت على إقامة الوطن القومي في أوغندا، بناءً على اقتراح وزير المستعمرات البريطاني تشمبرلين (Joseph Chamberlain) (١٨٣٦-١٩١٤). ولكن نتيجة تلاقي المصالح البريطانية الصهيونية، ونتيجة اكتشاف الصهيونيين سهولة استتفار جماهير الطوائف اليهودية لبناء وطن قومي في فلسطين؛ لاقتنائها بالدين اليهودي وذكريات تاريخية قديمة، وقع الاختيار النهائي على فلسطين^(٣٦).

(٣٣) إميل توما، جذور القضية الفلسطينية، الناصرة، المكتبة الشعبية، ١٩٧٢، ص ٤٤-٤٦.

(٣٤) المرجع السابق، ص ٤٥.

(٣٥) المرجع السابق، ص ٤٧.

(٣٦) المرجع السابق، ص ٤٨.

التيارات الصهيونية:

تكشف التيارات الصهيونية المختلفة عن جدلية الفكر والممارسة داخل المشروع الصهيوني؛ إذ لم تكن مجرد اختلافاً في الوسائل، بل تعد تجسيداً لأبعاد متباينة في مقاربة سؤال الوجود اليهودي في العالم الحديث. وعلى الرغم من اختلاف هذه التيارات في أولوياتها، فإنها تشترك في منطق واحد: تطهير فلسطين من الآخر الفلسطيني، ما يجعل لها وظائف متكاملة داخل البنية الاستعمارية الغربية.

١- الصهيونية السياسية: ولدت مع ثيودور هرتزل (Theodor Herzl) الذي صاغ نظريتها منذ عام ١٨٨٢ في فيينا، ونظمها في كتابه الدولة اليهودية ١٨٩٦، وبدأ يضعها موضع التطبيق الفعلي في المؤتمر الصهيوني الأول، الذي أقر أن هدف الصهيونية خلق وطن قومي لليهود في فلسطين، يتم الحصول عليه طبقاً للقانون العام. وذلك من خلال عدة من الوسائل منها: تشجيع الاستعمار الاستيطاني لفلسطين بوساطة العمال الزراعيين والصناعيين اليهود، وتنظيم اليهود وربطهم ببعض عن طريق المؤسسات المحلية والدولية الملائمة طبقاً لقوانين كل دولة، وتربية وتقوية الوعي والمشاعر القومية اليهودية، واتخاذ خطوات تمهيدية نحو الحصول على موافقة حكومية؛ لتحقيق هدف الصهيونية^(٣٧). وكان منظور هرتزل مختلفاً تماماً؛ فقد تجاهل قضية الهوية الثقافية واهتم فقط بالقضية السياسية. واستندت وجهة نظره إلى افتراضين هما: ضرورة مكافحة معاداة السامية، ومساعدة القوى الأوروبية في المشروع الاستعماري^(٣٨).

^(٣٧) كاظم مهدي، ما بعد الصهيونية، مرجع سابق، ص ٢٢.

^(٣٨) Sperber, Haim. "Is Zionism a Movement of Return?" In Next Year in Jerusalem: Exile and Return in Jewish History, edited by Leonard J.

٢- **الصهيونية العملية:** هي تيار صهيوني عملي ظهر نتيجة لفشل الجهود والتحركات الدبلوماسية والسياسية في الحصول على تنازلات سياسية إقليمية وضمانات دولية. وقد طالب هذا التيار بالاعتماد على الجهود الذاتية اليهودية المباشرة لبناء الوطن القومي لليهود وفرضه بوصفه أمراً واقعاً من دون انتظار نجاح الجهود الدبلوماسية، مع عدم إغفالها أو التخلي عنها^(٣٩).

٣- **الصهيونية الثقافية:** لم يتطلب هذا التيار من الصهيونية - كما فهمها مؤسسها - دولة يهودية، لكنها سمحت صراحة بإنشاء واحدة، عندما حان الوقت^(٤٠). ويعتقد مفكروها بضرورة تجسيد نهضة الشعب اليهودي عن طريق إنشاء مركز روحي ليكون مركزاً ثقافياً وتعليمياً لليهود في المهجر، ويمثل حصناً؛ لمواجهة خطر الاختلاط والذوبان الذي هدد وجود الشعب اليهودي. وقد قال آحاد هاعام (Ahad Ha'am) (١٨٥٦ - ١٩٢٧) فيلسوف الصهيونية الثقافية: إن أرض إسرائيل لن تحل المسألة الاقتصادية لليهود وإنما ستحل المسألة الروحية الثقافية للشعب. أي أنه كان يعني حل مشاكل اليهود ديناً ورسالة وثقافة وليس حل مشكلة اليهود بوصفهم أفراداً. فقد أعلن أن هدف الصهيونية ينبغي له أن يكون هو إقامة مركز قومي روحي في فلسطين، يعمل على ضمان استمرار اليهودية وتطورها^(٤١).

٤- **الصهيونية الدينية:** من بين أكبر مؤيدي فكرة "أرض إسرائيل الكبرى"، وتعارض الانسحاب من الأراضي المحتلة وإخلاء مستوطنهم اليهود. ويميل

Greenspoon, 127-34. Purdue University Press, 2019.
<https://doi.org/10.2307/j.ctvh9w1wk.12>.

^(٣٩) كاظم مهدي، ما بعد الصهيونية، مرجع سابق، ص ٢٣.

^(٤٠) Arkush, Allan. "Cultural Zionism Today." Israel Studies 19, no. 2 (2014): 1-14. <https://doi.org/10.2979/israelstudies.19.2.1>

^(٤١) كاظم مهدي، ما بعد الصهيونية، مرجع سابق، ص ٢٤.

أنصارها أيضًا إلى دعم استخدام التدابير القاسية في التعامل مع المقاومة الفلسطينية لإسرائيل. حتى إن بعضهم شارك في أعمال عنيفة انتقامية ضد العرب^(٤٢). كما أنها تعتمد على تفسير ديني للتاريخ اليهودي وتعاليم التوراة والتلمود. يؤمن هذا التيار بأن عودة اليهود إلى أرض الميعاد ليست مجرد مشروع سياسي أو قومي، بل إنها واجب ديني مقدس ومكون أساسي من خطة الهيئة؛ لتجديد عهد الله مع شعبه المختار. وفق هذا المنظور، تُعد الأرض المقدسة، بما في ذلك القدس والضفة الغربية، ذات مكانة روحانية لا يمكن التنازل عنها؛ لأنها تمثل الوعد الإلهي لليهود.

تستند الصهيونية الدينية إلى فكرة أن إقامة دولة إسرائيل هي جزء من تحقيق النبوءات التوراتية ومقدمة لمجيء المسيح المنتظر؛ لذلك، تُشكل المستوطنات في الضفة الغربية وما يُعرف بيهودا والسامرة عنصرًا جوهريًا في مشروعها السياسي والديني؛ إذ ترى أن السيطرة على هذه المناطق هي تحقيق لمشئئة إلهية^(٤٣). ووفقًا لموقع المركز الفلسطيني للإعلام فإن الصهيونية الدينية كانت مهمشة خلال تأسيس الحركة الصهيونية وتأسيس الكيان السياسي، لكن هذا التيار يتوسع اليوم ويتقدم الطليعة التي تناضل؛ من أجل الاستيطان في الضفة الغربية^(٤٤).

(42) Don-Yehiya, Eliezer. "Messianism and Politics: The Ideological Transformation of Religious Zionism." *Israel Studies* 19, no. 2 (2014): 239–63. <https://doi.org/10.2979/israelstudies.19.2.239>.

(43) Taub, Gadi. **The Settlers: And the Struggle over the Meaning of Zionism**. New Haven: Yale University Press, 2010, p 54.

(44) بوحنية قوى، سرديات متشابهة: الخطاب الديني الإسرائيلي والفلسطيني في الحرب على غزة، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٣٥، ٢٠٢٤ العالم إلى أين؟ يناير ٢٠٢٤، مجلد ٥٩، ملحق تحولات استراتيجية، ص ١٧٥.

٥- **الصهيونية المسيحية:** يعرف مفهوم الصهيونية المسيحية باعتباره تياراً لاهوتياً- سياسياً نشأ في بعض الأوساط البروتستانتية، خاصة الإنجيلية، يقوم على القراءة الحرفية للنصوص المتعلقة بأرض الميعاد. وينطلق هذا التيار من الاعتقاد بأن عودة اليهود إلى فلسطين وتأسيس دولة إسرائيل تمثل تحقيقاً لنبوءات إلهية مرتبطة بالخلاص اليهودي. ووفقاً لهذا المنظور، فإن تقديم الدعم السياسي والاقتصادي والعسكري لإسرائيل يعد التزاماً دينياً ضمن واجبات المسيحيين. ويستند هذا الاتجاه بالأساس إلى اللاهوت التدبيري (dispensational premillennialism)، الذي يفرق بين مقاصد الله تجاه الكنيسة من جهة، وتجاه إسرائيل من جهة أخرى، ويربط قيام الدولة العبرية المعاصرة بأحداث آخر الزمان وبالمجيء الثاني للمسيح^(٤٥). وفي هذا الصدد يعرف سايزر (Stephen Robert Sizer) الصهيونية المسيحية باعتبارها حركة دينية- سياسية ترى في قيام دولة إسرائيل الحديثة تحقيقاً للنبوءات الكتابية وإشارة إلى اقتراب المجيء الثاني للمسيح. فهي تربط بين اللاهوت التدبيري والتفسير الحرفي للكتاب المقدس من جهة، والدعم السياسي والأيدولوجي لإسرائيل من جهة أخرى^(٤٦).

ومن ثم، يشكل الصهاينة المسيحيون فريقاً من المسيحيين البروتستانت يدعمون المشروع الصهيوني؛ لاعتقادهم بالأحلام الألفية، كما ينظرون لعودة اليهود إلى فلسطين بوصفها خطوة تمهيدية لهدايتهم للمسيحية وتحقيق الخلاص

(45) Newkirk, Michael. American Christian Zionism: History, Theology and Implications, MA thesis, Reformed Theological Seminary, 2009, Pp 4-6.

(46) Eric Newberg, Review of Christian Zionism: Roadmap to Armageddon? by Stephen Sizer, Religious Studies Review 33, no. 1 (January 2007): 38.

النهائي لهم ولل بشرية جمعاء . وقد برزت هذه الرؤية منذ القرن السادس عشر في مرحلة تشكل الرأسماليات الأوروبية التي تبحث عن مصادر للثروات والمواد الخام وأسواق لتصريف فائض الإنتاج. ومن أبرز الشخصيات البارزة التي ارتبطت بهذه الفكرة هو نابليون بونابرت الذي وجه دعوة إلى يهود العالم للعودة إلى أرض آبائهم لبغية استيطانها وخدمة المصالح الفرنسية^(٤٧).

ترى الباحثة أن التيارات الصهيونية المختلفة تتجلى من خلالها جدلية الفكر والممارسة داخل المشروع الصهيوني، إذ لا يُختزل الأمر في مجرد تنوع الوسائل، بل في تعدد الرؤى حول معالجة مسألة الوجود اليهودي في العصر الحديث. ورغم تباين الصهيونية السياسية والعملية والثقافية والدينية والمسيحية في أولوياتها ومقارباتها، فإنها تلتقي عند هدف مشترك يتمثل في إقصاء الآخر الفلسطيني وترسيخ البنية الاستعمارية الاستيطانية. كذلك، يمكن اعتبار هذا التعدد مصدر قوة للحركة الصهيونية، حيث أتاح لها توظيف استراتيجيات متباينة- سياسية وثقافية ودينية- في خدمة مشروع واحد هو تثبيت الوجود اليهودي في فلسطين. وبدلاً من أن يتحول هذا التنوع إلى عامل انقسام، وفر إطاراً تكاملياً ساعد الصهيونية في التكيف مع المتغيرات الدولية والإقليمية، لتصبح منظومة أيديولوجية-وظيفية قادرة على استثمار اختلافاتها الداخلية لتعزيز مشروعها الاستعماري وإضفاء شرعية متعددة الأبعاد عليه.

ثالثاً- رؤية إسرائيل للشرق الأوسط:

لم يقتصر اليهود على تدوين تاريخهم في أسفار العهد القديم باعتبارها نصوصاً دينية، بل أعادوا إنتاجها في شكل سردية تأسيسية (Foundational

^(٤٧) عبدالوهاب المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية رؤية نقدية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ١٩٧٤، ص ٢٤٣.

(Narrative) تعبر عن رؤيتهم للعالم وتوجه ممارساتهم السياسية والاجتماعية؛ إذ تحولت فكرة الأرض الموعودة من مجرد رمز لاهوتي إلى مبدأ أيديولوجي مؤسس استُخدم بوصفه نقطة ارتكاز؛ لإضفاء الشرعية على مشروع استيطاني-استعماري، يحل فيه اليهود محل الفلسطينيين. ومن خلال هذه الآلية، جرى تحويل الميتافيزيقي إلى سياسي، والأسطورة إلى برنامَج عملي، بحيث تجسد المشروع الصهيوني في فلسطين بوصفه مشروعاً للهيمنة وإعادة هيكلة المجالين الجغرافي والديمقراطي. وقد نجح الخطاب الصهيوني في تسويق هذا المشروع على المستوى الدولي باعتباره عودة تاريخية طبيعية، في حين تكشف القراءة النقدية أنه يمثل في جوهره نموذجاً جديداً من الكولونيالية الاستيطانية (Settler Colonialism) التي تقوم على الإقصاء الممنهج ونزع الشرعية عن الوجود العربي- الفلسطيني^(٤٨).

تقوم الرؤية الإسرائيلية للشرق الأوسط على تحويل السلام من قيمة أخلاقية-سياسية إلى أداة لإنتاج الهيمنة؛ إذ لم يعد السلام مشروطاً بالعدالة أو إنهاء الاحتلال، بل صار مرادفاً للتطبيع والاندماج في النسق الإقليمي من دون تقديم تنازلات جوهرية. وهكذا تحول السلام إلى خطاب أيديولوجي يسوغ استمرار السيطرة الإسرائيلية، في مقابل نزع الشرعية عن المقاومة الفلسطينية واتهام الخصوم الإقليميين - إيران ووكلائها - بتقويض السلام في المنطقة.

لقد تغيرت الرؤية الإسرائيلية لمستقبل الشرق الأوسط كثيراً بعد اغتيال رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق إسحق رابين (Yitzhak Rabin 1922-1995)، الذي رأى في اتفاقية أوسلو تحقيقاً لأمن إسرائيل من خلال منح الفلسطينيين أقل من

(٤٨) آية الهنداوي، خفايا اليهود وصناعة الأسطورة: من الوعد التوراتي إلى المشروع الصهيوني،

مجلة السياسة الدولية، ٢٠٢٥.

<http://www.siyassa.org.eg/News/22098.aspx> .

تم الدخول بتاريخ ٢٠٢٥/٩/٦.

دولة وأكثر من حكم ذاتي على ٢٢% من أرض فلسطين تحت الانتداب، مقابل الحصول على ٧٨% ونفوذ وعلاقات جيدة بالتدريج مع الدول العربية من المحيط للخليج. وسرعان ما تجاهلت إسرائيل معادلة الأرض مقابل السلام وسعت إلى إرساء معادلة السلام مقابل السلام أو السلام مقابل التعاون الأمني والاقتصادي مع دول الخليج، وهو ما تجسد في الاتفاقات الإبراهيمية^(*) الموقعة مع بعض الدول العربية بضغط أمريكي^(٤٩).

تقوم الرؤية الإسرائيلية للشرق الأوسط على محاولة تصوير المحور الإيراني كمحور شر، والسعي لتأسيس تحالف سني معتدل ضد الهلال الشيعي. فقد روجت إسرائيل لسنوات على قدرتها على ضرب إيران وحماية المنطقة من شرورها، وأن الاعتراض الأمريكي فقط هو ما يمنعها، ولكن سقطت هذه الخطة نتيجة تعرضها لهجمات مباشرة من إيران في أكثر من مرة^(٥٠).

تسعى إسرائيل في سياق المتغيرات الإقليمية والدولية الراهنة إلى إعادة تشكيل الواقع الإقليمي في الشرق الأوسط بما يضمن تعزيز موقعها بوصفها قوة إقليمية

(*) الاتفاقات الإبراهيمية (Abraham Accords) عبارة عن سلسلة من الاتفاقيات لتطبيع العلاقات بين إسرائيل وعدد من الدول العربية مثل: الإمارات، البحرين، السودان، المغرب. أعلن عنها رسميًا عام ٢٠٢٠ بواسطة أمريكية في عهد الرئيس دونالد ترامب أثناء فترة ولايته الأولى. أنظر في ذلك: أشرف الحكيم، إشكالية العلاقة بين الاتفاقيات الإبراهيمية والقضية الفلسطينية، المجلة العلمية للبحوث والدراسات التجارية، مجلد ٣٩، العدد ٢، ٢٠٢٥، ص ١٣٢١.

(٤٩) أحمد فؤاد، مستقبل الشرق الأوسط في المنظور الإسرائيلي، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٣٩، محددات واتجاهات الصراعات في الشرق الأوسط، يناير ٢٠٢٥، مجلد ٦٠، ص ١١٢-١١٣.

(٥٠) المرجع السابق، ص ١١٣.

مهيمنة، ويعيد توزيع موازين القوى في المنطقة لصالحها، يتجلى هذا التوجه من خلال استراتيجية مزدوجة تقوم، من ناحية، على إضعاف الخصوم المباشرين سواء كانوا دولاً إقليمية أم فاعلين من غير الدول، بما يعزز من قدرتها على مواجهة التهديدات الأمنية المحتملة؛ ومن ناحية أخرى، على توسيع شبكة تحالفاتها الإقليمية والدولية بما يضمن استمرار تفوقها العسكري والتكنولوجي. وقد عبر رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو (Benjamin Netanyahu) عن هذه الرؤية في خطابه أمام الدورة التاسعة والسبعين للجمعية العامة للأمم المتحدة، عندما قدم ما وصفهما بخريطتي **النعمة والنقمة**، مقارناً فيهما بين شرق أوسط تقوده إسرائيل، وآخر يهيمن عليه خصومها مثل إيران. وفي هذا السياق، يمكن تحديد أبرز مرتكزات "المشروع الإسرائيلي للشرق الأوسط الجديد" في جملة من الأهداف الاستراتيجية، يأتي في مقدمتها: القضاء على حركات المقاومة المسلحة التي تمثل تهديداً مباشراً للأمن الإسرائيلي، لا سيما حركتي حماس والجهاد الإسلامي، وإعادة رسم الحدود أو تأمينها بشكل يمنع التهديد المباشر لإسرائيل، سواء من غزة، أم لبنان، أم سوريا، أم العراق، أم اليمن، ومنع إيران من امتلاك سلاح نوويّ وتقليص نفوذها الإقليمي، وأخيراً تصفية القضية الفلسطينية والقضاء على فكرة حل الدولتين، من خلال ضم الضفة الغربية ودفع الفلسطينيين في الضفة وقطاع غزة للهجرة القسرية إلى دول الجوار، خصوصاً مصر والأردن^(٥١).

ترى حكومة نتنياهو المتطرفة أن هذه الرؤية يمكن تحقيقها من خلال إحكام السيطرة الإسرائيلية على غزة بشكل دائم، وضم المزيد من الأراضي الفلسطينية في

^(٥١) محمد بدري، قراءة في رؤية إسرائيل لتغيير الشرق الأوسط، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٣٩، محددات واتجاهات الصراعات في الشرق الأوسط، يناير ٢٠٢٥، مجلد ٦٠، ص ١٦٠-١٦١.

الضفة الغربية إلى السيطرة الإسرائيلية المباشرة، من خلال توسيع الاستيطان وبالتالي إضعاف احتمالية قيام الدولة الفلسطينية، والضم التدريجي للمقدسات الإسلامية الكبرى في الضفة بما فيها الواقعة خارج مدينة القدس المحتلة، وفي مقدمتها الحرم الإبراهيمي بمدينة الخليل، وتوسيع نطاق التطبيع مع الدول العربية في إطار اتفاقات إبراهيم وإعادة رسم التحالفات التقليدية في منطقة الشرق الأوسط^(٥٢).

كما تسعى إسرائيل إلى تهجير الفلسطينيين من أرضهم لدول الجوار؛ إذ يستهدف قادة اليمين الإسرائيلي ترحيل أهل الضفة إلى الأردن، إلى جانب نقل عدد من سكان غزة إلى مصر وتركيا واليمن والعراق، وفقاً لخطة نشرت في ٣٠ نوفمبر ٢٠٢٣ في بعض وسائل الإعلام الإسرائيلية مثل إسرائيل هيوم، وتربط هذه الخطة المساعدات بنقل السكان، وحددت مليون فلسطيني لمصر، ونصف مليون لتركيا، و ٢٥٠ ألفاً للعراق، ومثلهم لليمن^(٥٣).

بيد أن تنفيذ هذه الرؤية ليس أمراً سهلاً كما تتصور إسرائيل، فمبدأ الحق في مقاومة الاحتلال ثابت، ولاسيما في فلسطين المحتلة، وصولاً إلى قيام دولة فلسطينية مستقلة عاصمتها القدس الشرقية، وهو حق تتمسك به السلطة الوطنية ومنظمة التحرير والشعب الفلسطيني، كما أن الجماعات المسلحة كحركة حماس والجهاد الإسلامي لديهم اقتناع راسخ بعدم التخلي عن السلاح حتى تحرير الأرض الفلسطينية^(٥٤).

^(٥٢) محمد بدري، قراءة في رؤية إسرائيل لتغيير الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص ١٦٢.

^(٥٣) أحمد فؤاد، مستقبل الشرق الأوسط في المنظور الإسرائيلي، مرجع سابق، ص ١١٤.

^(٥٤) حسن أبو طالب، الشرق الأوسط بين أوهام إسرائيل وتحولات النظام الدولي، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٤٠، فرص التغيير في سوريا في ضوء التفاعلات الإقليمية والدولية، مجلد ٦٠، إبريل ٢٠٢٥، ص ١٦١.

فضلاً عن إصرار الدول العربية على حل الدولتين، ورفض التطبيع المجاني أو تصفية القضية الفلسطينية، بالتهجير من قطاع غزة أو الضفة الغربية، ودعم صمود الشعب الفلسطيني على أرضه ودعم بقائه ومساعدته في تعمير ما دمرته إسرائيل، وكذلك رفض التورط في مواجهة عسكرية مع إيران، والالتزام بالمصالح المشتركة بوصفها أساساً لا غنى عنه^(٥٥).

خلاصة ما سبق، يتضح من خلال هذا المحور أن الأيدولوجية الصهيونية لم تكن مجرد حركة قومية تسعى إلى إعادة اليهود إلى أرض الميعاد، بل هي مشروع استيطاني - استعماري أعاد إنتاج النصوص الدينية في صورة خطاب وُظف؛ لتسويق إقامة كيان سياسي استعماري في فلسطين يخدم المصالح الغربية. وقد تبلورت الصهيونية عبر تيارات سياسية وعملية وثقافية ودينية، اختلفت في آلياتها وتلاققت في غايتها النهائية المتمثلة في تكريس الوجود اليهودي الاستيطاني.

أما على المستوى الإقليمي، فقد انتقلت الرؤية الإسرائيلية من معادلة الأرض مقابل السلام إلى السلام مقابل السلام، أي فرض التطبيع من دون تقديم تنازلات جوهرية، مع السعي إلى القضاء على المقاومة ومحاصرة إيران وضمان التفوق العسكري والتكنولوجي. غير أن هذه الرؤية تصطدم بواقع إقليمي رافض لتطلعات إسرائيل، يتجلى في تمسك الفلسطينيين بحق المقاومة، ورفض الدول العربية تصفية القضية أو الانخراط في تحالفات تعزز الهيمنة الإسرائيلية، وهو ما يضع حدوداً واضحة أمام تحقيق المشروع الصهيوني في المنطقة.

^(٥٥) المرجع السابق، ص ١٦٢.

المحور الثاني: الأيديولوجية الصهيونية والصراع الإسرائيلي

الفلسطيني (طوفان الأقصى)

يعد الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي أحد أبرز مظاهر التداخل بين الأيديولوجيا والسياسة في العالم المعاصر؛ فقد تحولت الصهيونية من مجرد حركة فكرية ذات جذور دينية- ثقافية إلى مشروع استعماري- استيطاني يعيد إنتاج الأسطورة في صورة بنية سياسية- عسكرية. ويأتي "طوفان الأقصى" (٧ أكتوبر ٢٠٢٣) ليعيد الكشف عن التناقضات الجوهرية في المشروع الصهيوني؛ إذ شكل ضربة قوية لنظرية الأمن الإسرائيلي، وأعاد طرح الأسئلة حول حدود الردع والهيمنة في النسق الإقليمي. فالعملية لم تكن مجرد مواجهة عسكرية، بل تعد انعكاساً مباشراً لتفاقم أزمة الاحتلال وانسداد أفق الحل السياسي، إلى جانب تصاعد الانتهاكات الصهيونية للمقدسات الإسلامية واستمرار الحصار على غزة. ومن هنا، فإن هذا المحور يسعى إلى تحليل العلاقة بين الأيديولوجية الصهيونية بوصفها أساساً للصراع، وبين المتغيرات الميدانية والسياسية التي فجرتها عملية طوفان الأقصى، بما يبرز كيف تتحول الأيديولوجيا إلى محدد رئيس في صناعة القرار الإسرائيلي وإعادة تشكيل الإقليم.

أولاً- عملية طوفان الأقصى:

أطلقت كتائب عز الدين القسام- الجناح العسكري لحركة حماس- عملية طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر ٢٠٢٣؛ إذ شنت هجوماً عسكرياً منظماً تضمن إطلاق صواريخ نحو مستوطنات غلاف غزة وعدد من المدن داخل العمق الإسرائيلي، والتسلل عبر الحدود واقتحام السياج الفاصل بين غزة وإسرائيل، متجاوزة التدابير الأمنية والتكنولوجية لإسرائيل، وتمكنت من السيطرة على قاعدة

عسكرية كبيرة وعدد من المواقع ونقاط المراقبة الإسرائيلية المنتشرة على حدود القطاع، كما سيطرت وحدات كوماندوز تابعة للحركة على نحو ٢٠ مستوطنة إسرائيلية داخل ما يسمى الخط الأخضر^(٥٦).

لقد ترتب على هذا الهجوم قتل نحو ١,٣٠٠ إسرائيلي، وأسر أكثر من ٢٥٠ رهينة اقتيدوا إلى غزة. وقد ردت إسرائيل في الثامن من أكتوبر بإطلاق ما عرف بعملية السيوف الحديدية، ثم بدأت إسرائيل في ٢٧ أكتوبر باجتياح غزة برياً. وقد سبق هذا التوغل البري شن حملة جوية من أكثر حملات القصف دموية وتدميراً في التاريخ الحديث، والتي كان هدفها تهجير سكان القطاع إلى الجنوب باتجاه الحدود مع مصر، مع إحكام الحصار على القطاع ومنع دخول المساعدات الإنسانية. وقد تسببت هذه الحرب الوحشية في تدمير غزة، وخلفت آلاف القتلى، معظمهم من المدنيين، ولاسيما الأطفال والنساء^(٥٧).

لقد شنت إسرائيل حرباً ضرورياً على قطاع غزة، وفرضت حصاراً كاملاً ومميتاً عليه. كما ارتكبت العديد من الانتهاكات الجسيمة للقانون الدولي الإنساني والقانون الدولي لحقوق الإنسان. فقد أقرت اللجنة الدولية المستقلة المعنية بالتحقيق في الأرض الفلسطينية المحتلة، أن إسرائيل ارتكبت جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية خلال عملياتها العسكرية وهجماتها على غزة، واستخدمت التجويع بوصفه أسلوباً من أساليب الحرب وتوجيه الهجمات عمداً ضد المدنيين والأهداف

^(٥٦) فانتن الصفتي، مستقبل القضية الفلسطينية في ضوء التطورات الإقليمية الراهنة، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٣٩، محددات واتجاهات الصراعات في الشرق الأوسط، يناير ٢٠٢٥، مجلد ٦٠، ص ٩٦.

^(٥٧) محمود أبو القاسم، الصراع في الشرق الأوسط وملامح التغير في البيئة الاستراتيجية، الرياض، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، ٢٠٢٤، ص ١٨-١٩.

المدنية، والعنف الجنسي، والتعذيب، والنقل القسري والهجمات المتعمدة على العاملين والمرافق الطبية، وغيرها^(٥٨).

أسباب اندلاع العملية:

بالرغم من أن هذا الهجوم المباغت شكل صدمة جماعية داخل إسرائيل على جميع المستويات الرسمية والشعبية؛ فقد عُدَّ بمنزلة تهديد جماعي ووجودي، على نحو ما جاء في مفردات ومضامين الخطاب الرسمي للقادة الإسرائيليين على المستويين السياسي والعسكري، وكذلك على المستوى غير الرسمي للمراقبين والخبراء الأمنيين والاستراتيجيين^(٥٩)، فإن هناك مقدمات كانت تنذر باشتعال الأوضاع وفقًا لعدد من الأسباب وهي:

١- انسداد الأفق أمام حل الدولتين: فقد بات واضحًا أن اتفاقية أوسلو - التي نصت على حكم ذاتي محدود للفلسطينيين في الضفة الغربية وغزة وإجراء مفاوضات بشأن حلول دائمة لقضايا القدس واللاجئين والمستوطنات والحدود في موعد نهايته ٤ مايو ١٩٩٩. ولكنها فشلت بسبب تعثر المحادثات ونهايتها نتيجة للاستفزازات الإسرائيلية المتكررة والتلاعب بقضية القدس؛ مما أدى إلى اندلاع انتفاضة الأقصى (٢٠٠٠-٢٠٠٥) التي جمدت عملية أوسلو تمامًا^(٦٠) لم تخدم هذه الاتفاقية سوى المشروع الإسرائيلي الاستيطاني الذي

^(٥٨) إبراهيم منشأوي، مستقبل قطاع غزة في ضوء القانون الدولي، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٤١، معادلة الأمن في البحر الأحمر: بين التعاون والصراع، يوليو ٢٠٢٥، مجلد ٦٠، ص ١٧٩.

^(٥٩) محمد بدري، هجوم ٧ أكتوبر: من الصدمة الاستراتيجية إلى نموذج استخباراتي جديد، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٣٥، ٢٠٢٤ العالم إلى أين؟ يناير ٢٠٢٤. مجلد ٥٩، ملحق تحولات استراتيجية، ص ٥.

^(٦٠) إبراهيم منشأوي، مستقبل قطاع غزة في ضوء القانون الدولي، مرجع سابق، ص ١٧٨.

ترسخ من خلال البدء في تنفيذ مخططات الضم في الضفة الغربية، ويرعاه وزير المالية الإسرائيلي سموتريتش المسئول عن الضم والتهجير وتهويد القدس، والتمهيد لإزالة المقدسات الوطنية ولاسيما المسجد الأقصى لصالح ما يسمى الهيكل الثالث^(*)، مع زيادة معدلات محاولات اقتحام المسجد الأقصى في سياق الحرب الدينية التي تتبعها الحكومة المتطرفة^(١١).

٢- الانتهاكات الصهيونية المتزايدة لقدسية المسجد الأقصى: فقد تفاقمت

الاقتحامات الصهيونية الاستيطانية في القدس، وتجاوزت تطبيق المسجد الأقصى وحرمان سكان القدس والضفة من الدخول إلى باحاته، ووصلت الانتهاكات إلى إقامة طقوس تلمودية داخل ساحاته تمهيداً للتقسيم الزماني والمكاني الذين مهدت لهما حكومة نتنياهو بعقدها اجتماعاً حكومياً تحت نفق أقيم تحت المسجد الأقصى بتاريخ ٢١ مايو ٢٠٢٣. كذلك تعمل الحكومة الإسرائيلية منذ فترة على تمويل مشروع البقرة الحمراء الذي يهدف إلى بناء الهيكل اليهودي المزعوم في باحات الحرم القدسي الشريف؛ وترى الجماعات

(*) الهيكل الثالث هو المعبد المنتظر الذي تسعى بعض التيارات اليهودية والصهيونية لبنائه في موقع المسجد الأقصى، بعد أن دُمّر الهيكلان الأول والثاني في التاريخ القديم، وينظرون إليه باعتباره شرطاً للخلاص القومي والديني وعودة المسيح المنتظر، وقد ربطت حركات مثل أمناء جبل الهيكل ومعهد الهيكل هذا المشروع بإحياء طقوس وتجهيز أدوات العبادة. (أنظر):

Motti Inbari, Jewish Fundamentalism and the Temple Mount: Who will build the Third Temple? Albany: State University of New York Press, United States of America, 2009, P2.

(١١) شيماء منير، الحرب في غزة وانعكاساتها الاستراتيجية على القضية الفلسطينية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، ملف طوفان الأقصى والحرب على غزة المقدمات والتداعيات، ديسمبر ٢٠٢٣، ص ١٣.

اليهودية أن الطهارة- التي يمثلها وجود البقرة وإجراءات ذبحها وحرقها- شرط لتمكين اليهود جميعًا من دخول المسجد الأقصى، وبالتالي بناء المعبد. ويشرف معهد بناء الهيكل الإسرائيلي على عملية العثور على تلك البقرة مستثمرًا الجهود والأموال الكثيرة اللازمة لذلك^(٦٢).

٣- **الضغوط الاقتصادية والإنسانية في غزة:** فقد تعرض سكان القطاع لظروف معيشية قاسية، بما في ذلك نقص حاد في الموارد الأساسية، مثل الكهرباء والمياه؛ بسبب استمرار الحصار الإسرائيلي والقيود على حرية الحركة. وكانت هذه الضغوط عاملاً حاسماً في دفع حماس لتصعيد المواجهة العسكرية مع إسرائيل؛ في محاولة لتخفيف هذه المعاناة وتحقيق أهداف سياسية وعسكرية^(٦٣).

٤- **التطبيع مع إسرائيل:** فقد عرضت الدول العربية استعدادها للتطبيع مع إسرائيل في عام ٢٠٠٢ وفقاً لمبدأ الأرض مقابل السلام، الذي نادى به مبادرة السلام العربية التي طرحتها المملكة العربية السعودية، مقابل انسحاب إسرائيل الكامل من الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧. ولكن تمكنت الولايات المتحدة الأمريكية بعد عقدين من الزمان من تأمين اتفاقات تطبيع بين إسرائيل وبعض الدول العربية دون الحاجة إلى إنهاء الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين أو منح الفلسطينيين الحق في تقرير مصيرهم. فقد وقعت بعض الدول العربية مثل الإمارات العربية المتحدة، والبحرين، والمغرب اتفاقيات أبراهام مع إسرائيل. في

(٦٢) بوحنية قوى، سرديات متشابهة: الخطاب الديني الإسرائيلي والفلسطيني في الحرب على غزة، مرجع سابق، ص ١٧٤-١٧٥.

(٦٣) فاتن الصفدي، مستقبل القضية الفلسطينية في ضوء التطورات الإقليمية الراهنة، مرجع سابق، ص ٩٦.

المقابل، رأت حماس أن هذه الاتفاقات تؤثر سلباً في القضية الفلسطينية وتعزز عزلتها وتقلل الدعم العربي لها؛ الأمر الذي يستدعي تصعيد المقاومة والقيام بعمليات عسكرية مثل طوفان الأقصى؛ لإعادة تسليط الضوء على القضية على الساحتين الإقليمية والدولية^(٦٤).

٥- توجه حكومة نتنياهو نحو حسم الصراع وتنفيذ سياسة الاغتيالات لقيادات المقاومة والتضييق على الأسرى. فضلاً عن اقتحام المدن الفلسطينية في الضفة كما حدث في نابلس وأريحا وجنين. إلى جانب دعم وتشجيع إرهاب المستوطنين في بلدة جنوب نابلس حوارة ومدن أخرى. وبحسب تقرير مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية التابع للأمم المتحدة أوتشأ، فقد استشهد من بدءاً ٢٠٢٣ حتى شهر أغسطس من نفس العام ١٧٢ فلسطينياً، وهدم ٧٨٠ منزلاً في الضفة. كما أشارت إلى أن معدلات الاعتداءات الشهرية للمستوطنين وصل لنحو ١٠٠ اعتداء شهرياً ضد الفلسطينيين في الضفة الغربية بحماية الاحتلال منذ بدءاً عام ٢٠٢٣^(٦٥).

ثانياً- تداعيات الحرب الإسرائيلية على غزة:

لقد انكشفت في أعقاب طوفان الأقصى معضلة إسرائيل في إعادة تشكيل النظام الإقليمي. فبينما تسعى إلى فرض معادلة السلام مقابل السلام، فإن الواقع فرض نفسه من جديد، فقد عادت القضية الفلسطينية إلى واجهة النظام الدولي، كما انهارت أسطورة "الجيش الذي لا يُقهر" واهتزت صورة التفوق الاستخباراتي. وكان لهذه الحرب تداعيات ضخمة على الجانبين الإسرائيلي والفلسطيني كالآتي:

^(٦٤) المرجع السابق، ص ٩٦.

^(٦٥) شيماء منير، الحرب في غزة وانعكاساتها الاستراتيجية على القضية الفلسطينية، مرجع سابق، ص ١٣-١٤.

أ. التداعيات الإسرائيلية:

١- شكلت عملية طوفان الأقصى صدمة للداخل الإسرائيلي على المستويين الرسمي والشعبي لم تعهدها إسرائيل منذ حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣، حتى أصبح هذا الحدث موضوعًا لتساؤلات عدة ونقاشات حادة وتقييمات دقيقة من جانب النخبة الإسرائيلية الرسمية وغير الرسمية. فقد رأى قطاع كبير منهم أن ما حدث في ٧ أكتوبر لم يكن مفاجأة ناجمة عن الفشل الاستخباراتي والعملياتي فقط، بل أيضًا صدمة للوعي القومي الإسرائيلي ستستمر آثارها لسنوات عديدة. كما وصفه البعض بأنه كان يومًا عاصفًا لم يشهد مثله اليهود منذ الهولوكوست، في حين اعتبره آخرون بمنزلة ١١ سبتمبر الإسرائيلي، على غرار هجمات ١١ سبتمبر الأمريكية في عام ٢٠٠١^(٦٦).

٢- تراجع الثقة الشعبية بالجيش الإسرائيلي، وأجهزة الأمن، ومؤسسات الاستخبارات بشكل غير مسبوق. فقد أثبت الهجوم فشل هذه المؤسسات وكشف إخفاقاتها في توفير الأمن للإسرائيليين، ما أفقدها هيبتها، إلى جانب فقدان الشعور بالاستقرار، وهو الأمر الذي انعكس في ارتفاع معدلات الهجرة العكسية من إسرائيل إلى الخارج، وهو ما يشكل خطرًا وجوديًا وفق مرتكزات الأمن الإسرائيلي^(٦٧).

٣- فشل نظرية الأمن الإسرائيلي وركائزها الثلاث: مثل الردع والإنذار المبكر والحسم، وقد ترتب على اهتزاز الردع تزايد المخاوف من شن خصوم إسرائيل في المنطقة- مثل حزب الله اللبناني، والحوثيون في اليمن - هجمات ضدها،

^(٦٦) محمد بدري، هجوم ٧ أكتوبر: من الصدمة الاستراتيجية إلى نموذج استخباراتي جديد، مرجع سابق، ص ٥.

^(٦٧) المرجع السابق، ص ٨.

وهو ما حدث بالفعل ظناً منهم بأن الفرصة باتت سانحة لتدمير إسرائيل^(٦٨). وتحاول إسرائيل تصحيح هذا الوضع، باستخدام الردع بالعقاب؛ بهدف تحقيق نصر ما يعيد لردعها مكانته، من خلال شن عمليات عسكرية على مختلف الجبهات، واستخدام جميع أساليب الفتك والبطش من دون أي قيود من استهداف المدنيين، واغتيال القادة العسكريين والسياسيين وتدمير البنية التحتية وكل مظاهر الحياة^(٦٩).

٤- حدوث حالة من الانقسام السياسي والمجتمعي، وتباينت اتجاهات الرأي العام الإسرائيلي حول مجريات الحرب في قطاع غزة، فقد تراجعت الثقة بالحكومة الإسرائيلية وزاد الميل نحو ائتلاف يمين الوسط، وفقاً لنتائج استطلاعات الرأي التي أجريت عقب عمليتي طوفان الأقصى والسيوف الحديدية. كذلك تظهر النتائج وجود حالة من الانقسام حول سيناريوهات الحكم في غزة عقب انتهاء الحرب^(٧٠).

٥- فرض عزلة دولية على إسرائيل: نتيجة للسياسات غير الإنسانية والجرائم التي ترتكبها إسرائيل في حربها على قطاع غزة، تضررت سمعتها وصورتها أمام العالم وفُرضت عليها عزلة دولية نسبياً، بل ملاحقتها في المحكمة الجنائية الدولية ومحكمة العدل الدولية، فقد توقفت مفاوضات التطبيع مع السعودية،

(٦٨) المرجع السابق، ص ٨.

(٦٩) علي الدين هلال، التوازن الاستراتيجي في الشرق الأوسط في ضوء حرب غزة، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٣٩، محددات واتجاهات الصراعات في الشرق الأوسط، يناير ٢٠٢٥، مجلد ٦٠، ص ١٥٥.

(٧٠) مهذب عادل، مستقبل النظام السياسي الإسرائيلي عقب الحرب على غزة، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٣٥، ٢٠٢٤ العالم إلى أين؟ يناير ٢٠٢٤، مجلد ٥٩، ملحق تحولات استراتيجية، ص ١١-١٢.

وخروج مظاهرات داعمة للقضية الفلسطينية في عدد كبير من دول العالم، كما قطع عدد كبير من دول العالم العلاقات الدبلوماسية مع تل أبيب مثل: بوليفيا وبليز، وبلدية برشلونة، وسحبت بعض الدول سفراءها من إسرائيل مثل: الأردن، وتركيا، وهندوراس، وتشاد، وكولومبيا، وشيلي، وجنوب إفريقيا، إعلان عدد كبير من دول العالم بالاعتراف بالدولة الفلسطينية وتأييد منح فلسطين عضوية كاملة في الأمم المتحدة^(٧١).

٦- ملاحقة إسرائيل في المحاكم الدولية: فقد رفعت خمس دول هي: جنوب إفريقيا، وبنجلاديش، وبوليفيا، وجزر القمر وجيبوتي، طلبًا للمحكمة الجنائية الدولية في نوفمبر ٢٠٢٣، وانضمت إليها شيلي والمكسيك في يناير ٢٠٢٤، للنظر في جرائم الحرب التي يرتكبها قادة إسرائيليون ضد المدنيين في غزة. كذلك أحالت جنوب إفريقيا الحرب على غزة إلى محكمة العدل الدولية في ديسمبر ٢٠٢٣ ومارس ٢٠٢٤ متهمة إسرائيل بارتكاب جرائم إبادة جماعية ضد الفلسطينيين من خلال تعمدتها عرقلة إدخال المساعدات الإنسانية إلى القطاع، ما مثل خرقًا لاتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها الصادرة عام ١٩٤٨^(٧٢).

لقد أصدرت المحكمة ثلاثة أوامر ملزمة من التدابير المؤقتة، تحدد التدابير العاجلة التي يجب على السلطات الإسرائيلية اتخاذها لمنع الإبادة الجماعية والسماح بدخول المساعدات الضرورية إلى غزة، بيد أن إسرائيل انتهكت هذه

^(٧١) أميرة صديق، التداعيات الجيوبوليتيكية العالمية والإقليمية للحرب على غزة، مجلة السياسة

الدولية، العدد ٢٣٧، تداعيات الصراع الإيراني- الإسرائيلي إقليميًا ودوليًا، يوليو ٢٠٢٤،

مجلد ٥٩، ص ٤٩.

^(٧٢) المرجع السابق، ص ٤٩.

الأوامر وتجاهلت التزاماتها المقررة عليها بموجب القانون الدولي الإنساني بصفتها قوة احتلال. كما أصدرت المحكمة الجنائية الدولية مذكرة اعتقال أو توقيف بحق نتتياهو ويوآف جالانت (Yoav Gallant)-وزير الدفاع الإسرائيلي السابق- في ٢١ نوفمبر ٢٠٢٤، بتهمة ارتكاب جرائم حرب متمثلة في التجويع كأسلوب من أساليب الحرب، والجرائم ضد الإنسانية المتمثلة في القتل والاضطهاد^(٧٣). ففي التاسع من أكتوبر ٢٠٢٣، فرضت إسرائيل حصارًا خانقًا ومشددًا على قطاع غزة، وقال يوآف جالانت نصًا: "لا كهرباء ولا طعام ولا ماء ولا وقود، كل شيء سيغلق، نحن نحارب حيوانات بشرية ونتصرف وفقًا لذلك"^(٧٤).

بعد أن أصدرت المحكمة مذكرات الاعتقال، وقع الرئيس الأمريكي دونالد ترامب (-1946 Donald Trump) في فبراير ٢٠٢٥ الأمر التنفيذي رقم ١٤٢٠٣، ليفرض بموجبه عقوبات على عدد من قضاة المحكمة الجنائية الدولية بدعوى أن قراراتها تفتقر إلى الأساس الشرعي، وتمس مواطنين أمريكيين وحلفاء واشنطن (يقصد إسرائيل)، وقد شملت العقوبات تجميد أصول أربعة قضاة ومنعهم من دخول الولايات المتحدة^(٧٥).

ترى الباحثة أن هذه الخطوة تعكس بوضوح التناقض بين مفهومي السيادة الوطنية والشرعية الدولية. إذ انطلق ترامب من رؤية واقعية تعتبر الدولة ذات

^(٧٣) إبراهيم منشاوي، مستقبل قطاع غزة في ضوء القانون الدولي، مرجع سابق، ص ١٧٩.

^(٧٤) بوحنية قوى، سرديات متشابهة: الخطاب الديني الإسرائيلي والفلسطيني في الحرب على غزة، مرجع سابق، ص ١٧٧.

^(٧٥) Humeyra Pamuk and Anthony Deutsch, Trump administration imposes new sanctions on four ICC judges, prosecutors. <https://www.reuters.com/world/asia-pacific/trump-administration-imposes-new-sanctions-four-icc-judges-prosecutors-2025-08-20/> accessed September 18, 2025.

السيادة هي الكيان الأعلى الذي لا يخضع لمؤسسات دولية عابرة للحدود، لا سيما إذا تناقضت مع مصالحها أو مصالح حلفائها. هذه الخطوة تتجاهل طبيعة مفهوم العدالة الدولية، وتضع الاعتبار السياسية والاستراتيجية فوق القيم القانونية والأخلاقية. كما تكشف أيضًا أن القوى الكبرى لا تعارض المؤسسات الدولية من حيث المبدأ، لكنها تدعمها فقط عندما تتوافق مع مصالحها وتُعزز نفوذها. وحينما تتحول هذه المؤسسات إلى فاعل مستقل قد يحد من حرية القرار الأمريكي أو يمس بشرعية حلفائها، تصبح المواجهة أمرًا متوقعًا، لا سيما وأن الولايات المتحدة لم تصادق أصلًا على نظام روما المؤسس للمحكمة الجنائية الدولية.

ب. التداعيات الفلسطينية:

١- إعادة سيطرة إسرائيل على قطاع غزة: فلم يكن لإسرائيل أي وجود في القطاع منذ تطبيق خطة فك الارتباط وتفكيك مستوطناتها وانسحابها من القطاع عام ٢٠٠٥، وقد أحكمت حركة حماس سيطرتها المنفردة عليه منذ عام ٢٠٠٧. ولكن بعد اندلاع الحرب تحاول إسرائيل السيطرة على القطاع أمنياً وعسكرياً؛ بهدف منع تكرار عملية طوفان الأقصى^(٧٦).

٢- إعادة القضية الفلسطينية إلى بؤرة الاهتمام الدولي: فقد عاد التفكير في السبب الحقيقي لعدم الاستقرار في المنطقة، وعاد طرح حل الدولتين بوصفه خيار أفضل لإقرار السلام العادل والدائم في المنطقة، وفي هذا السياق أعلن عدد كبير من الدول الاستعداد للاعتراف بدولة فلسطينية. كما اكتسبت القضية تعاطفًا شعبيًا وعالميًا هائلًا؛ بسبب سياسة الأرض المحروقة التي تتبعها إسرائيل، والتكلفة البشرية الهائلة التي يتحملها سكان القطاع، لا سيما النساء

^(٧٦) أميرة صديق، التداعيات الجيوبوليتيكية العالمية والإقليمية للحرب على غزة، مرجع سابق،

والأطفال، وقد تمثل ذلك في خروج كثير من المظاهرات والاحتجاجات في مختلف دول العالم رافعة العلم الفلسطيني ومنذدة بالسياسات الإسرائيلية تجاه المدنيين^(٧٧).

٣- على الجانب الآخر تتعرض القضية الفلسطينية لخطر التصفية والانهاء من خلال تهجير الفلسطينيين وتفريغ الأرض من أصحابها؛ فمنذ ٢٥ يناير ٢٠٢٥، يروج الرئيس الأمريكي دونالد ترامب لمخطط نقل سكان غزة إلى دول مجاورة، لا سيما مصر والأردن، وهو الأمر الذي رفضته الدولتان. ولكن ذهب نتنياهو إلى ما هو أبعد من ذلك بالدعوة إلى إقامة دولة للفلسطينيين في السعودية^(٧٨).

بالرغم من كل هذه التداعيات والخسائر، وهذه الحرب التي قوضت أسس السلام والاستقرار في المنطقة، فإن مبدأ حق مقاومة الاحتلال يبقى حقاً أصيلاً، ويستند إلى جذور فلسفية وقانونية راسخة؛ فقد اعتبر جون لوك (John Locke 1632-1704) أن مقاومة السلطة الغاصبة هي ممارسة لحق طبيعي أصيل في الحرية والملكية^(٧٩)، بينما أكد جان جاك روسو (Jean-Jacques Rousseau 1712-1778) على أن السيادة الشعبية لا تزول حتى في ظل الاحتلال، كما نصت المادة الأولى من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية

^(٧٧) المرجع السابق، ص ٤٢-٤٣.

^(٧٨) خالد شنيكات، موقف وخيارات الدول العربية في مواجهة مقترح تهجير الفلسطينيين، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٤٠، فرص التغيير في سوريا في ضوء التفاعلات الإقليمية والدولية، مجلد ٦٠، أبريل ٢٠٢٥، ص ١٥٢.

^(٧٩) John Locke, Two Treatises of Government, ed. Peter Laslett (Cambridge: Cambridge University Press, 1988), Second Treatise, P 404-412.

(١٩٦٦) على حق الشعوب في تقرير مصيرها^(٨٠)، وكذلك أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في القرار رقم ٤٣/٣٧ لسنة ١٩٨٢ بشرعية كفاح الشعوب ضد السيطرة الاستعمارية والأجنبية^(٨١). كما رأى فرانز فانون (Frantz Fanon 1925-1961) أن المقاومة تمثل تحرراً وجودياً من بنية الاستعمار^(٨٢)، غير إن الإشكالية الفلسفية تكمن في طبيعة الوسائل المستخدمة؛ فبينما برر الواقعيون استعمال القوة بلا قيود، ربط إيمانويل كانط (Immanuel Kant 1724-1804) شرعية المقاومة بمبادئ العدالة الكونية واحترام المدنيين^(٨٣).

انطلاقاً من حق تقرير المصير، وحق الشعوب في مقاومة المحتل، فإن حركة حماس الفلسطينية- المسؤولة عن طوفان الأقصى- يمكن تصنيفها على أنها حركة مقاومة وطنية تسعى لتحرير أرضها وشعبها وتواجه احتلالاً عسكرياً، بالرغم من أن الولايات المتحدة وبعض الدول الغربية يصنفها على أنها منظمة إرهابية تستخدم العنف.

(80) United Nations, International Covenant on Civil and Political Rights (New York: United Nations, 1966), United Nations Treaty Series, vol. 999, p. 171, Article 1. <https://www.ohchr.org/sites/default/files/ccpr.pdf>

(81) UN General Assembly (37th sess.: 1982-1983), Importance of the universal realization of the right of peoples to self-determination and of the speedy granting of independence to colonial countries and peoples for the effective guarantee and observance of human rights., A/RES/37/43, UN General Assembly, 3 December 1982, <https://www.refworld.org/legal/resolution/unga/1982/en/9326> accessed 18 September 2025.

(82) Frantz Fanon, The Wretched of the Earth, Translated by Richard Philcox, New York: Grove Press, 2004, Pp 1-15.

(83) Immanuel Kant, Toward Perpetual Peace, edited by Pauline Kleingeld, translated by David L. Colclasure, Indianapolis: Hackett Publishing, 2006, Part II, pp. 99-105, 124-125.

وتجدر الإشارة إلى أنه تم التوصل إلى اتفاق وقف إطلاق النار بين إسرائيل وحركة حماس؛ نتيجة المفاوضات التي عقدت في شرم الشيخ، بوساطة مصرية وقطرية وبدعم من الولايات المتحدة الأمريكية، في محاولة لإنهاء الصراع في قطاع غزة. وقد نص الاتفاق على وقف فوري ومتبادل لإطلاق النار، وبدء تبادل الأسرى والمحتجزين، ودخول المساعدات الإنسانية للقطاع، مع ترتيبات أمنية مؤقتة تشرف عليها الدول الوسيطة لضمان الالتزام ببنود الاتفاق، مقابل انسحاب تدريجي للقوات الإسرائيلية من القطاع. وقد جاء هذا الاتفاق متكاملًا مع ما عرف بخطة ترامب للسلام في غزة، التي أعلن عنها الرئيس الأمريكي دونالد ترامب أواخر سبتمبر ٢٠٢٥، وتضمنت نحو عشرين بندًا؛ تهدف إلى تثبيت التهدئة وتهيئة بيئة سياسية لما بعد الحرب.

ترى الباحثة أن القضية الفلسطينية دخلت مرحلة جديدة بعد عملية طوفان الأقصى تختلف جذريًا عن المراحل السابقة؛ إذ لم يعد الصراع مجرد ملف تفاوضي أو نزاع حدودي، بل تحول إلى مسألة وجودية تفرض نفسها على النسقين الدولي والإقليمي معًا. فقد انكشفت أمام العالم هشاشة أطروحات التسوية السلمية التي استندت عليها إسرائيل لعقود، وتجلّى بوضوح أن منطق القوة لم يعد قادرًا على إخماد المقاومة، بل فاقم من إصرار الشعب الفلسطيني على إعادة تعريف ذاته وحقوقه. فلم يعد الفلسطيني اليوم مجرد طرف ضعيف يبحث عن فتات السيادة، بل فاعل يعيد رسم موازين القوى السياسية في المنطقة.

أما إسرائيل، فهي تدخل في طور أزمة بنيوية مزدوجة: أزمة أمنية داخلية تتجلّى في اهتزاز ثقة مجتمعها بقدرته جيشها وأجهزتها الأمنية على توفير الحماية المطلوبة. وأزمة شرعية خارجية تتضح في تزايد الانتقادات الحقوقية والأكاديمية، وتآكل صورتها كواحة ديمقراطية في شرق مضطرب. هذه التحولات ستجعل

إسرائيل أكثر اعتمادًا على الدعم الغربي المباشر، وأكثر انكشافًا أمام الضغوط الدولية، ما يفتح المجال أمام تبلور خطاب عالمي جديد يرى في استمرار الاحتلال تهديدًا للاستقرار الإقليمي والدولي على حد سواء.

خلاصة ما سبق، يظهر من خلال هذا المحور أن عملية طوفان الأقصى شكلت نقطة انعطاف تاريخية لم تقتصر تداعياتها على الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي فقط، بل امتدت لتشمل صورة إسرائيل أمام المجتمع الدولي، وتماسكها الداخلي، وعلاقاتها الإقليمية. فقد أسقطت العملية أسطورة التفوق الأمني الإسرائيلي، وأظهرت هشاشة عقيدة الردع التي قامت عليها الدولة العبرية منذ نشأتها. كما كشفت عن المدى الذي بلغه المشروع الصهيوني في توظيف الأيديولوجيا الدينية والسياسية لتبرير سياسات التهجير والعدوان، في مقابل صمود وإصرار المقاومة الفلسطينية باعتبارها ردًا تاريخيًا على الاحتلال. وإلى جانب ذلك، أعادت الحرب على غزة القضية الفلسطينية إلى بؤرة الاهتمام العالمي، وأطلقت نقاشات جديدة حول شرعية الاحتلال وضرورة الاعتراف بالدولة الفلسطينية. ومن ثم، فإن العلاقة الجدلية بين الأيديولوجية الصهيونية وممارساتها العملية تؤكد أن الصراع لم يعد نزاعًا حدوديًا أو سياسيًا بحتًا، بل هو تعبير عن مواجهة بين مشروع استعماري- استيطاني وبين مقاومة شعب يسعى إلى الحفاظ على وجوده وحقوقه التاريخية.

المحور الثالث: الحرب الإسرائيلية- الإيرانية

يمثل الصراع الإسرائيلي-الإيراني أحد أبرز تجليات التداخل بين الأيدولوجيا والجغرافيا السياسية في الشرق الأوسط. فمنذ قيام الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩ وانهيار نظام الشاه، دخلت طهران وتل أبيب في صراع اتسم بتناقض المرجعيات الفكرية والسياسية؛ إذ مثلت الصهيونية مشروعا استيطانياً مدعوماً من القوى الغربية، في مقابل سعي إيران لفرض نفسها بوصفها قوة إقليمية تقود ما يسمى محور المقاومة. ومع تصاعد الحروب بالوكالة، برزت معادلة جديدة لإدارة الصراع؛ إذ تحول الوكلاء من أدوات مساندة إلى فاعلين أساسيين يعيدون تشكيل بنية الأمن الإقليمي. وقد انتقلت المواجهات في العقدين الأخيرين انتقالاً تدريجياً من مواجهات غير مباشرة وعمليات سرية إلى صدام مباشر تمثل في استهدافات متبادلة داخل العمق الإيراني والإسرائيلي. وعليه، فإن هذا المحور لا يكشف فقط عن طبيعة التنافس الجيوسياسي، بل يوضح أيضاً كيف تُعيد الأيدولوجية الصهيونية صياغة استراتيجياتها تجاه إيران في ظل التحولات الإقليمية.

أولاً: تعريف الحرب بالوكالة:

أ. تعريف الحرب:

تعرف الحرب لغوياً، كما جاء في المعجم الوسيط، على أنها "القتال بين فئتين وهي عكس السلم. ويقال احتربوا، أي حارب بعضهم بعضاً"^(٨٤). أما اصطلاحاً، فقد اختلفت التعريفات التي تناولت مفهوم الحرب وفقاً للمنظور الذي يتناولها؛ فقد نظر الفقه القانوني للحرب من زاوية الشرعية الدولية، بينما تناولها الفلاسفة من منظور القيم والمعايير الإنسانية. وعلى الرغم من هذا التباين، فإن القاسم المشترك بين تلك التعريفات يتمثل في اعتبار الحرب شكلاً من أشكال الصراع المسلح بين

^(٨٤) مجمع اللغة العربية، كتاب المعجم الوسيط، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤، ١٦٣.

طرفين أو أكثر. وفي إطار بعض التعريفات الشائعة، تُفهم الحرب على أنها مواجهة عسكرية بين دولتين أو عدد من الدول، تنشب عادةً؛ رغبة في تحقيق مصالح قومية محددة، وتعد في القانون الدولي حالة طبيعية يمكن حدوثها^(٨٥). ويعرفها كلاوزفيتز (١٧٨٠-١٨٣١ Carl von Clausewitz) بأنها "عمل من أعمال القوة؛ لإجبار العدو على تنفيذ إرادتنا"^(٨٦).

ب. تعريف الحرب بالوكالة:

أما الحروب بالوكالة، فتعرف بأنها صراعات أهلية أو إقليمية، يخوضها أطراف محلية أو إقليمية نيابة عن قوى خارجية؛ تحقيقاً لمصالح هذه الأخيرة داخل منطقة الصراع. وغالبًا ما توظف هذه الحروب لتحقيق أهداف محددة منها: إسقاط نظام سياسي معين، مناهض للدولة التي تلجأ للحرب بالوكالة، واستبداله بآخر أكثر قربًا من القوة الداعمة، أو إضعاف النظام القائم من خلال زعزعة استقراره الداخلي من أجل التأثير في اتجاهاته السياسية، سواء على المستوى الداخلي أو سياساته الخارجية، بما يخدم مصالح الجهة الراعية للصراع^(٨٧). ومن أمثلة ذلك، تدخل الولايات المتحدة الأمريكية بصورة غير مباشرة عام ١٩٨٤ في نيكاراغوا؛ لإسقاط حكومة سانديست الشيوعية المقربة من كوبا^(٨٨).

^(٨٥) يامن خالد، واقع التوازن الدولي بعد الحرب الباردة واحتمالاته المستقبلية، سوريا، الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٠، ص ٨١-٨٢.

^(٨٦) كلاوزفيتز، عن الحرب، ترجمة سليم الإمامي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٧، ص ١٠٣.

^(٨٧) مالك العيسوي، الحروب بالوكالة: إدارة الأزمات الدولية في الاستراتيجية الأمريكية، الطبعة الأولى، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، ٢٠١٤، ص ٦٤.

^(٨٨) منتظر داخ، دور الحرب الهجينة في الصراعات الدولية بعد العام ٢٠٠١م، رسالة ماجستير، العراق، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، ٢٠٢٢، ص ٥٧.

كذلك يعرفها ميتشل فراستنبرج (Micheal Furstenberg) بأنها الوضع الشائع بين الدول المتنافسة، فبدلاً من المواجهة المباشرة فيما بينها، تلجأ إلى دعم مجموعات متمردة في دولة أخرى من أجل اندلاع نزاع حقيقي فيها^(٨٩). في حين يرى تيرون (Tyrone L. Groh) أن المكونات الأساسية للحرب بالوكالة تتمثل في: دولة متدخلة تحاول التأثير في نزاع داخلي مسلح خارج حدودها، وقوة محلية مستعدة للقتال أو منخرطة بالفعل في النزاع نيابة عنها، ووجود علاقة بين الدولة المتدخلة ووكيلها، مع احتفاظ الوكيل بدرجة من الفاعلية، في حين تظل للدولة المتدخلة درجة من السيطرة والتحكم على هذا الوكيل^(٩٠).

ثانياً- أيديولوجية إيران وعلاقتها بوكلائها:

لقد شهدت إيران، منذ الحقبة الأموية، بروز حركات معارضة للنظام السياسي القائم، قادتها جماعات وفرق شيعية مختلفة، اتخذت من المقاومة الفكرية والمذهبية أداة للتعبير عن رفضها للسلطة المركزية. ثم ما لبثت البلاد أن عرفت بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين موجات من الثورات الشعبية المناهضة للاحتلال المغولي، وقد اتسمت بطابع مزدوج يجمع بين الروح الصوفية والهوية الشيعية، وهو ما أضفى على الحراك الاجتماعي بعداً دينياً وروحياً. غير أن التحول الجذري نحو التشيع الاثني عشري لم يتبلور إلا مع قيام الدولة الصفوية في مطلع القرن السادس عشر؛ إذ شكلت هذه الدولة نقطة الانعطاف الكبرى في التاريخ السياسي- المذهبي لإيران، فقد جعلت من التشيع الإثني عشري مذهباً

^(٨٩) أحمد عبيس، تحديات العدالة الجنائية الدولية: الحرب بالوكالة أنموذجاً، مجلة العلوم القانونية، جامعة بغداد، كلية القانون، العدد ١، مجلد ٣٧، ٢٠١٧، ص ١٢١.

^(٩٠) Tyrone L. Groh, *Proxy War: The Least Bad Option* (Stanford, CA: Stanford University Press, 2019) p 27.

رسميًا للدولة، وعملت على نشره في الداخل الإيراني ومحيطه الإقليمي، حتى أصبح عنصرًا مكونًا للهوية الوطنية؛ ومن ثم فرضت على المجتمع، الذي كان في غالبته سنيًا وقتذاك، التحول المذهبي، لتؤسس بذلك بنية أيديولوجية جديدة تجمع بين الشرعية السياسية والشرعية الدينية، وقد شكلت لاحقًا مرتكزًا ثابتًا للهوية السياسية الإيرانية^(٩١).

تعد الشيعة الإمامية الاثنا عشرية أكبر الفرق الشيعية وأكثرها انتشارًا، وتقوم عقيدتهم على أن الخلافة والإمامة حق لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وذريته من بعده، بنص ووصية من الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وأن الإمامة الركن السادس من أركان الدين لا تخرج عن نسله^(٩٢). ويؤمنون باثني عشر إمامًا معصومًا، أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم محمد بن الحسن المهدي الغائب، الذي يعتقدون أنه ما يزال حيًا إلى اليوم، وأنه سيظهر آخر الزمان ليملا الأرض قسطًا وعدلًا بعد أن يعمها الجور والظلم^(٩٣).

تقوم عقيدة الشيعة الإمامية الاثني عشرية على جملة من الأفكار الرئيسية، من أبرزها:

١- التقية: وهي مبدأ يتيح إخفاء المعتقد أو إظهار الولاء الظاهري للسلطة اتقاء للبطش، كما تُستخدم بوصفها أداة تنظيمية في الحركات الثورية؛ إذ يضع

^(٩١) هيثم مزاحم، الدولة والدين في إيران أثر ولاية الفقيه على السياسات الداخلية والخارجية،

مجلة الدراسات الإيرانية، السنة الثانية، العدد الخامس، ديسمبر ٢٠١٧، ص ١٠.

^(٩٢) أبو الفتح الشهرستاني، الملل والنحل، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢، ص ١٤٤.

^(٩٣) أحمد سيد، ولاية الفقيه عند الشيعة الاثني عشرية وموقف الإسلام منها، القاهرة، مكتبة الإمام البخاري، ٢٠٠٧، ص ٤٩-٥٠.

الإمام خطته في سرية تامة، لا يطلع عليها إلا المقربون من أتباعه، حتى يحين وقت الثورة^(٩٤).

٢- **الرجعة:** ويقصد بها عودة الأئمة بعد غيابهم أو وفاتهم، ويؤكدون - خاصة - رجعة الإمام الثاني عشر، محمد بن الحسن المهدي، الذي يعتقدون أنه دخل في غيبة صغرى ثم كبرى، وسيظهر في آخر الزمان؛ ليقم العدل، فيما ذهبت بعض الفرق إلى القول برجوع خصوم الأئمة أيضًا؛ لينالوا جزاءهم في الدنيا^(٩٥).

٣- **الإمامة:** تعد أصلًا من أصول الدين لا يصح الإيمان إلا بها، وهي - من وجهة نظرهم - امتداد للنبوّة؛ إذ ينهض الإمام بوظائف الهداية والإرشاد ورعاية شؤون الناس، ويمتلك سلطة عامة في إدارة المجتمع وتحقيق العدالة ورفع الظلم^(٩٦).

٤- **عقيدة المهدي المنتظر:** يرون أن فساد العالم يقتضي ظهور المصلح في آخر الزمان، وهو الإمام الغائب محمد بن الحسن العسكري (ولد سنة ٢٥٥ أو ٢٥٦هـ)، الذي ما يزال حيًا وسيظهر في المستقبل ليملأ الأرض قسطًا وعدلاً بعد أن انتشر فيها الظلم والجور^(٩٧).

أما الزيدية فتعد أحد أهم فرق التشيع التي تركت بصمتها في الفكر السياسي والثوري، كما أثرت في علم الكلام والفقه ونظرية الإمامة. تنتسب إلى الإمام زيد

^(٩٤) محمد أبو زهرة، الميراث عند الجعفرية، القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠١٠، ص ٤٠.

^(٩٥) أحمد جلي، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين "الخوارج والشيعة"، الطبعة الثانية، السعودية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٩٨٨، ص ٢١٧.

^(٩٦) محمد المظفر، عقائد الإمامية، العراق، منشورات النعمان النجف الأشرف، ١٩٧٢، ص ٦٧.

^(٩٧) سعد القمي، المقالات والفرق، طهران. مؤسسة مطبوعاتي عطائي، ١٩٦٣، ص ١٩-٢٣.

بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، الذي قاد ثورة في الكوفة ضد الدولة الأموية عام ١٢٢هـ في عهد هشام بن عبد الملك، وتُصنف الزيدية بوصفها أكثر فرق الشيعة اعتدالاً وأقربها إلى أهل السنة والجماعة^(٩٨).

لقد انتقل المذهب الزيديّ إلى اليمن بجهود الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسن بن القاسم، حينما بايعه أهل اليمن عام ٢٨٤هـ، وخاض صراعات مع التيارات المتطرفة كالقرامطة، وظل الحكم الزيدي قائماً هناك حتى سقوطه مع ثورة ١٩٦٢، وعلى الرغم من ذلك فقد ظل اليمن مركز الثقل الفكري والسياسي للطائفة الزيدية^(٩٩). وتنقسم الزيدية إلى ثلاث فرق: البترية والسليمانية- وهما الأقرب لبعضهما في المذهب-، ثم الجارودية التي تُعد الأكثر تمايزاً، إذ تأثرت ببعض أفكار الإمامية الاثني عشرية، وأتباعها يُنسبون إلى أبي الجارود زياد بن المنذر. وقد انشقت الجارودية عن الإمام زيد حين رفض الطعن في الشيخين- أبي بكر وعمر-، وذهبت بعض فرقها إلى القول بفكرة الإمام الغائب^(١٠٠).

ينتمي الحوثيون إلى الزيدية الجارودية، وتعود جذورهم إلى بدر الدين الحوثي، الذي درس في صعدة وأقام في طهران فترة، حيث تأثر بالفكر الإمامي الاثني عشريّ. وقد برز ابنه حسين الحوثي الذي أسس تنظيم الشباب المؤمن عام ١٩٩١، وزار إيران وحزب الله في لبنان قبل أن يقود التمرد على الحكومة اليمنية حتى مقتله عام ٢٠٠٤. وبعده تولى شقيقه عبد الملك الحوثي (مواليد ١٩٧٩ - .)

(٩٨) أحمد صبحي، في علم الكلام، الزيدية، الطبعة الثالثة، القاهرة، دار النهضة العربي، ١٩٩١، ص ٥٦.

(٩٩) محمد أبو زهرة، الإمام زيد، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٨، ص ٣٤.

(١٠٠) سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، الجزء الثاني، الطبعة الثامنة، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٦، ص ١٥٠.

قيادة الجماعة، مطلقاً موقع المنبر الإلكتروني عام ٢٠٠٧؛ لتسويق أفكار الحركة^(١٠١).

ويرتكز المشروع الحوثي على إعادة إحياء فكرة الإمامة، والترويج للخروج على الأنظمة القائمة، مع استلهاً الثورة الخمينية وحزب الله نموذجاً يُحتذى به، وتبني خطاب مذهبي ضد أهل السنة. وبذلك تحول البُعد العقدي والفكري إلى أداة سياسية تسعى إيران من خلالها إلى توظيف الحوثيين؛ لتحقيق أهدافها الإقليمية والدينية في اليمن^(١٠٢).

لقد اتسمت العلاقة بين الشيعة الإمامية الإثني عشرية والعلويين في سوريا تاريخياً بالتوتر العقدي والتمايز المذهبي، إذ نظر فقهاء الإمامية إلى العلويين بوصفهم جماعة بعيدة عن أصول التشيع؛ مما جعلهم مهمشين دينياً. غير أن التحولات السياسية في القرن العشرين، ولا سيما مع صعود حافظ الأسد إلى السلطة عام ١٩٧٠؛ مما دفعت إيران ومراجع شيعية بارزة إلى إعادة تعريف هذه العلاقة. فقد أصدر الإمام موسى الصدر فتوى عام ١٩٧٣ يعترف فيها بالعلويين كفر من الشيعة، مانحاً بذلك شرعية مذهبية مكنت النظام السوري من تعزيز تحالفه مع إيران^(١٠٣). ومع اندلاع الحرب السورية عام ٢٠١١، توطدت العلاقة في إطار ما يعرف بمحور المقاومة؛ إذ غلبت المصالح الجيوسياسية على

^(١٠١) أحمد الدغشي، الحوثيون دراسة منهجية شاملة طبيعة النشأة والتكوين وعوامل الظهور وجدلية العلاقة بالخارج ومشاهد المستقبل، بيروت، الدار العربية للعلوم، ٢٠١٠. ص ٢٣.

^(١٠٢) المرجع السابق، ص ٢٣.

^(١٠٣) Martin Kramer, 1996, **Arab awakening and Islamic revival: The Politics of Ideas in the Middle East**, Transaction Publishers, New Brunswick, U.S, p 200.

الخلافات العقائدية، فتحول الارتباط إلى تحالف برجماتي يحكمه منطق البقاء والشرعية السياسية أكثر من الوحدة العقائدية^(١٠٤).

ثالثاً- العلاقات الإيرانية الإسرائيلية:

عارضت إيران قرار تقسيم فلسطين الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٨١ لعام ١٩٤٧، كما عارضت قبول إسرائيل في عضوية الأمم المتحدة عام ١٩٤٩، ولكنها اعترفت بدولة إسرائيل في مارس ١٩٥٠، في ظل تبني الشاه الإيراني محمد رضا بهلوي سياسة خارجية تميل إلى الولايات المتحدة الأمريكية؛ خوفاً من المطامع السوفيتية، لتصبح ثاني دولة إسلامية تعترف بها بعد تركيا، واستمر التعاون بين طهران وتل أبيب في المجالات الاقتصادية والعسكرية والاستخباراتية. ومع قيام الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩ وقدم نظام الخميني، انقطعت العلاقات بين الدولتين وأعلنت طهران عدم الاعتراف بشرعيتها. وعلى الرغم من ذلك، قدمت إسرائيل دعماً كبيراً لإيران في حربها مع العراق، فقد زودت طهران بـ ٨٠% من احتياجاتها من السلاح في هذه الحرب^(١٠٥).

يرجع التنافس الإيراني- الإسرائيلي إلى الحرب الأمريكية على العراق عام ٢٠٠٣؛ إذ ترتب على خروج بغداد من معادلة التوازنات الإقليمية- نتيجة الحرب- صعود الدور الإقليمي لطهران من خلال ما يعرف بمحور المقاومة، أو الهلال الشيعي، الذي يشمل حلفاء إيران الإقليميين كسوريا، وبعض الفاعلين من غير الدول مثل: كتائب حزب الله وعصائب أهل الحق في العراق، والحوثيين في

(104) Devin Trivedi, 2016, Primer on the Alawites in Syria.
<https://www.fpri.org/article/2016/12/primer-alawites-syria/>

(١٠٥) عاطف سالم، انعكاسات الصراع بين طهران وتل أبيب على الداخل الإسرائيلي، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٣٧، تداعيات الصراع الإيراني- الإسرائيلي إقليمياً ودولياً، يوليو ٢٠٢٤، مجلد ٥٩، ص ١١٩.

اليمن، وحزب الله في لبنان، وحركات المقاومة الفلسطينية (حماس)، وقد ساهم هذا المحور في مد النفوذ الإقليمي لطهران منذ قيام الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩^(١٠٦). لقد أدى تزايد النفوذ الإقليمي لإيران إلى الصدام مع إسرائيل كقوة إقليمية تستهدف الهيمنة على المنطقة، وتمثل وكيلاً عن القطب المهيمن عالمياً على النسق الدولي، وهو الولايات المتحدة الأمريكية، التي سعت إلى جعل إسرائيل القوة الإقليمية الوحيدة المهيمنة على منطقة الشرق الأوسط؛ لتكون بمنزلة الشرطيّ الإقليميّ المسئول عن حماية المصالح الأمريكية في المنطقة. وفي إطار التنافس بين الدولتين، استغلت إيران الصراع العربي - الإسرائيلي، واحتلال إسرائيل لبعض الأراضي العربية في فلسطين ولبنان وسوريا؛ بغية تعزيز تحالفاتها مع محور المقاومة بهدف الضغط على إسرائيل. في حين استغلت تل أبيب مخاوف بعض الدول العربية، مثل: البحرين والسعودية والإمارات، من التهديد الإيراني؛ من أجل التقارب مع هذه الدول وتطبيع العلاقات معها؛ لإدارة التنافس مع إيران. وقد نجحت بالفعل في تطبيع العلاقات مع السودان والمغرب والبحرين والإمارات^(١٠٧). شهدت العلاقات الإيرانية - الإسرائيلية منذ تسعينيات القرن العشرين وحتى العقد الأول من الألفية الجديدة سلسلة من الأعمال العدائية المتبادلة، باستثناء فترة رئاسة محمد خاتمي في إيران (١٩٩٧-٢٠٠٥)؛ إذ اتخذت هذه الأعمال طابعاً غير مباشر في الغالب. فقد تنوعت أشكال المواجهة بين الطرفين عبر استخدام الوكلاء الإقليميين، والعمليات الاستخباراتية ضد أهداف عسكرية وشخصيات بارزة، إلى

^(١٠٦) أميرة صديق، التداعيات الجيوبوليتيكية العالمية والإقليمية للحرب على غزة، مرجع سابق،

ص ٢٩.

^(١٠٧) المرجع السابق، ص ٢٩.

جانب استهداف المقرات الدبلوماسية، فضلاً عن الهجمات السيبرانية التي طالت المنشآت النووية الإيرانية وبعض المرافق الإسرائيلية. وفي هذا السياق، دأبت إسرائيل على اتهام إيران بتهديد الأمن الإقليمي عبر مساعيها لتطوير برنامج نووي ذي أبعاد عسكرية وتعزيز قدراتها من الصواريخ الباليستية بعيدة المدى. في المقابل، أصرت طهران على أن برنامجها النووي موجه لأغراض سلمية، وهو ما انعكس في موقفها المؤيد للاتفاق النووي المبرم عام ٢٠١٥، في حين عارضته إسرائيل بشدة، وتمكنت بالفعل من الضغط على الإدارة الأميركية برئاسة دونالد ترامب للانسحاب من الاتفاق عام ٢٠١٨. وقد بلغ الصراع بين الجانبين ذروته في الساحة السورية؛ إذ كثفت إسرائيل هجماتها على مواقع تابعة لحزب الله والحرس الثوري الإيراني هناك. ومع اندلاع عملية طوفان الأقصى التي نفذتها حركة حماس في ٧ أكتوبر ٢٠٢٣، سارعت إسرائيل إلى اتهام إيران بالضلوع في دعمها، غير أن الأخيرة نفت أي دور مباشر لها في تلك العملية^(١٠٨).

لقد استهدفت إسرائيل في أول إبريل ٢٠٢٤ مقر القنصلية الإيرانية في دمشق؛ مما أسفر عن مقتل محمد رضا زاهدي، أحد أبرز قيادات الحرس الثوري، إلى جانب سبعة من القادة العسكريين الإيرانيين. وردت إيران على ذلك بعملية الوعد الصادق في ١٣ أبريل ٢٠٢٤، مستخدمة صواريخ باليستية وطائرات مسيرة لضرب أهداف داخل إسرائيل، لترد الأخيرة بدورها باستهداف قاعدة عسكرية في أصفهان. وقد شكل هذا التطور نقلة نوعية في مسار الصراع، إذ انتقل من نمط المواجهات غير

^(١٠٨) أبو بكر الدسوقي، العناصر الحاكمة لمستقبل الصراع الإيراني- الإسرائيلي، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٣٧، تداعيات الصراع الإيراني- الإسرائيلي إقليمياً وعالمياً، يوليو ٢٠٢٤، مجلد ٥٩، ص ٩٨.

المباشرة، الحرب بالوكالة أو عبر العمليات السرية، إلى مستوى غير مسبوق من الاشتباك العسكري المباشر بين الدولتين^(١٠٩).

ثم في إطار من التصعيد المتبادل بين الجانبين، اغتالت إسرائيل كلاً من إسماعيل هنية- رئيس المكتب السياسي لحماس- في أثناء زيارته إلى طهران في ٣١ يوليو ٢٠٢٤، وحسن نصر الله- الأمين العام لحزب الله اللبناني- في ٢٧ سبتمبر ٢٠٢٤، وردت إيران على ذلك بهجوم بالصواريخ الباليستية. إلا إن إسرائيل شنت هجوماً جويًا عبر الحدود العراقية والسورية مع إيران في ٢٦ أكتوبر ٢٠٢٤، استهدفت منشآت لتصنيع الصواريخ، وقواعد صواريخ أرض/جو، ومواقع عسكرية أخرى في طهران وخوزستان وإيلام^(١١٠).

رابعاً- عمليات الحوثيين في اليمن:

مع اندلاع الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، في أكتوبر ٢٠٢٣، أعلن الحوثيون موقفاً داعماً لحركة المقاومة الفلسطينية، تجسد في إطلاق طائرات مسيرة وصواريخ باتجاه أهداف داخل إسرائيل. ومع تطور الأحداث، انتقلوا إلى مرحلة أكثر تصعيدياً، تمثلت في استهداف حركة الملاحة البحرية في البحر الأحمر. ويمكن تقسيم هذه الهجمات إلى أربع مراحل رئيسية:

إذ ركزت المرحلة الأولى على استهداف السفن المرتبطة بإسرائيل، في حين شملت المرحلة الثانية السفن الحربية الأمريكية والبريطانية المسؤولة عن حماية السفن التي يُعتقد أنها مرتبطة برجال أعمال إسرائيليين. أما المرحلة الثالثة، فقد

(١٠٩) عاطف سالم، انعكاسات الصراع بين طهران وتل أبيب على الداخل الإسرائيلي، مرجع سابق، ص ١١٩-١٢٠.

(١١٠) علي الدين هلال، التوازن الاستراتيجي في الشرق الأوسط في ضوء حرب غزة، مرجع سابق، ص ١٥٦.

توسعت لتستهدف السفن التجارية الأمريكية والبريطانية المتجهة نحو الموانئ الإسرائيلية. وجاءت المرحلة الرابعة مع الغزو الإسرائيلي لمدينة رفح في مايو ٢٠٢٤؛ إذ اتجهت هجمات الحوثيين إلى استهداف أي سفينة تجارية متجهة إلى إسرائيل بغض النظر عن جنسيتها، مثل استهداف سفينة نقل المركبات جلاكسي ليدر. كما امتد نطاق هذه الهجمات ليشمل خليج عدن وحتى أجزاء من المحيط الهندي، في مؤشر على تصعيد نوعي وتوسع جغرافي في استراتيجيتهم البحرية^(١١١). فقد أعلنت في مارس ٢٠٢٤ نيتها التوسع في دائرة الاستهداف لتشمل السفن المتجهة إلى إسرائيل في المحيط الهندي باتجاه رأس الرجاء الصالح^(١١٢).

تشير بيانات المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية إلى أن الحوثيين نفذوا أكثر من ثلاثمائة هجوم ضد السفن في البحر الأحمر خلال الفترة الممتدة من نوفمبر ٢٠٢٣ حتى ديسمبر ٢٠٢٤. وقد ارتبط هذا التصعيد بتنامي القدرات العسكرية للجماعة، نتيجة الدعم الإيراني الذي تضمن تزويدها بتكنولوجيا متقدمة في مجال الصواريخ والطائرات من دون طيار، وهو ما مكنها من استهداف أهداف على

^(١١١) تقى النجار، دوافع وتداعيات دور الحوثيين في أمن البحر الأحمر، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٤١، معادلة الأمن في البحر الأحمر بين التعاون والصراع، يوليو ٢٠٢٥، مجلد ٦٠، ص ١٣٦.

^(١١٢) أحمد إمبابي، التهديدات الأمنية في باب المندب وتداعياتها على الشرق الأوسط، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٣٩، محددات واتجاهات الصراعات في الشرق الأوسط، يناير ٢٠٢٥، مجلد ٦٠، ص ١١٩.

مسافات بعيدة، بما في ذلك السفن الحربية الإسرائيلية والأمريكية والبريطانية، فضلاً عن طرق التجارة البحرية الحيوية في البحر الأحمر وخليج عدن^(١١٣).

في ديسمبر ٢٠٢٣، أطلقت الولايات المتحدة الأمريكية عملية حارس الازدهار، التي تعمل على ترسيخ الأمن في البحر الأحمر، كما أسس الاتحاد الأوروبي بعثة أسبيدس في فبراير ٢٠٢٤، التي تستهدف حماية السفن من الهجمات المحتملة في البحر الأحمر، وهو ما أدى إلى تزايد التوترات والعمليات العسكرية في البحر الأحمر^(١١٤).

وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة وبريطانيا ردتا على هذه الهجمات بتنفيذ ضربات جوية موجهة ضد مواقع الحوثيين، في محاولة لاحتواء نشاطهم وضمان استمرار انسيابية حركة التجارة الدولية عبر البحر الأحمر، فإن تلك الضربات لم تحقق في حينه النتائج المرجوة؛ إذ أخفقت في إنهاء الهجمات الحوثية أو تحييد قدرتهم على تهديد الممرات البحرية الاستراتيجية. وقد أطلقت إدارة الرئيس دونالد ترامب عملية عسكرية واسعة النطاق ضد الحوثيين في ١٥ مارس ٢٠٢٥؛ ردًا على هجماتها في البحر الأحمر، فقد أعلن المتحدث باسم القيادة المركزية الأمريكية، ديفيد إيستبورن، في ٢٤ أبريل ٢٠٢٥، أن القيادة المركزية ضربت أكثر من ٨٠٠ هدف للحوثيين منذ بدء الحملة الجوية في ١٥ مارس، تتضمن مواقع القيادة والسيطرة ومواقع لإنتاج الأسلحة المتطورة وأنظمة دفاع جوي. إلا أن

^(١١٣) تقى النجار، دوافع وتداعيات دور الحوثيين في أمن البحر الأحمر، مرجع سابق. ص ١٣٦.

^(١١٤) تقى النجار، تأثير الفاعلين من دون الدول في مستقبل الشرق الأوسط، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٣٩، محددات واتجاهات الصراعات في الشرق الأوسط، يناير ٢٠٢٥، مجلد ٦٠، ص ١٠٧.

الولايات المتحدة الأمريكية أعلنت، في ٦ مايو ٢٠٢٥، عن اتفاق وقف الهجمات الجوية ضد الحوثيين مقابل عدم استهداف الممرات الحيوية في البحر الأحمر وخليج عدن. وبالرغم من اعتراف الحوثيين بالاتفاق، فإنهم أعلنوا استمرار هجماتهم على إسرائيل^(١١٥).

في حين تسوغ جماعة الحوثي هجماتها باستمرار الحرب في غزة، فإن دوافع الحوثيين الحقيقة أوسع، وأكثر تعقيداً من ذلك، ومنها محاولة تعزيز نفوذها داخل اليمن؛ فقد أدركوا أن التمسك بموقف داعم للفلسطينيين يزيد من شرعية الجماعة داخل اليمن. بيد أن الدافع الأساسي لعمليات أنصار الله الحوثيين يتمثل في تأكيد التزامهم تجاه ما يسمى محور المقاومة الذي تقوده إيران. فعلى الرغم من أن التواصل بين إيران والجماعة يعود إلى التسعينيات، فإن دعم طهران الفعلي للحوثيين بدأ في عام ٢٠٠٤؛ نتيجة المواجهة التي اندلعت بين الحكومة اليمنية والحوثيين. وقد لعب الحرس الثوري الإيراني وحزب الله اللبناني، منذ عام ٢٠١٥، دوراً أساسياً في تحويل الحوثيين من مجرد جماعة محلية إلى فاعل إقليمي مؤثر؛ فقد أمدوهم بالأسلحة والتدريب والخبرات^(١١٦).

بالرغم من أن جماعة الحوثي قدمت نفسها- بعملياتها النوعية- في مكانة رئيسة بمحور المقاومة، وأكدت بهجماتها المستمرة على السفن الإسرائيلية والسفن الداعمة لها- انتقالها لموقع مركزي في هذا المحور قد يشكل بديلاً لدور حزب الله اللبناني في المنطقة، فإن اغتيال حسن نصر الله، الأمين العام لحزب الله في

^(١١٥) تقى النجار، دوافع وتداعيات دور الحوثيين في أمن البحر الأحمر، مرجع سابق، ص ١٣٧.

^(١١٦) تقى النجار، دوافع وتداعيات دور الحوثيين في أمن البحر الأحمر، مرجع سابق، ص ١٣٧-١٣٨.

لبنان، في ٢٧ سبتمبر ٢٠٢٤، زاد مخاوف الحوثيين من استهداف إسرائيلي لزعيمها عبد الملك الحوثي، لا سيما بعد استهداف الجيش الإسرائيلي لمنشآت تحت سيطرة الجماعة، معظمها ذات طابع اقتصادي مدني مثل: محطات الوقود والكهرباء؛ ردًا على هجوم حوثي بصاروخ باليستي استهدف العاصمة تل أبيب^(١١٧).

ترى الباحثة أن عمليات الحوثيين في البحر الأحمر تكشف بوضوح عن التحول في طبيعة التهديدات التي تواجهها إسرائيل، فلم تعد هذه التهديدات محصورة في حدودها الجغرافية المباشرة، بل أصبحت جزءًا من صراع إقليمي أوسع تديره إيران عبر أدوات غير متماثلة. فقد انعكس هذا التهديد على أمن الملاحة والتجارة الإسرائيلية، وأجبر تل أبيب على تعزيز تحالفاتها البحرية الإقليمية والدولية. وتعمق هذه التهديدات الطابع الأمني للأيدولوجية الصهيونية وتكشف عن تجدد أشكال المواجهة بين إسرائيل وإيران في ساحات غير تقليدية كالملاحة البحرية.

خامساً- سقوط نظام بشار الأسد في سوريا:

عملت إيران منذ بداية الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩ على زيادة عمقها الاستراتيجي ببناء شبكة وكلاء ضمن نظرية "الدفاع الأمامي" وتحقيق الاكتفاء الذاتي في القدرات العسكرية، عبر تطوير القدرات الصاروخية والطائرات المسيرة والبرنامج النووي، وقد شكلت سوريا حليفًا رئيسًا ضمن شبكات تحالفات إيران بعد الثورة الإسلامية، وقد أصبح هذا التحالف راسخًا بشكل أكبر خلال فترة الحرب الأهلية السورية، التي بدأت في عام ٢٠١١؛ إذ برزت إيران بوصفها داعما ثابتا

^(١١٧) أحمد إمبابي، التهديدات الأمنية في باب المندب، مرجع سابق، ص ١٢٣.

لرئيس السوري بشار الأسد، وقدمت لنظامه دعماً عسكرياً ومالياً كبيراً، ولم يكن هذا الدعم الثابت مجرد شهادة على تحالف النظامين، بل كان أيضاً مؤشراً على المصالح الاستراتيجية الإيرانية في المنطقة، والتي سوف تتأثر بسقوط نظام الأسد^(١١٨).

لقد تمكنت قوات النظام السوري من استعادة السيطرة على معظم الأراضي السورية بفضل الدعم العسكري الروسي والإيراني، وقد شهدت البلاد حالة من التفكك السياسي والقتال المستمر في بعض المناطق. ثم تراجع الصراع نسبياً في العديد من الجبهات، وعادت سوريا إلى جامعة الدول العربية عام ٢٠٢٣ بعد التحول الإيجابي الذي طرأ على مواقف بعض الدول العربية تجاه بشار الأسد، ولكن انفجرت الأوضاع مجدداً وتغيرت الأمور رأساً على عقب بعد أن قامت هيئة تحرير الشام وحلفاؤها من الفصائل المسلحة، مثل: فيلق الشام وجيش الأحرار وحركة أحرار الشام وجيش العزة، في ٢٧ نوفمبر ٢٠٢٤ بعملية عسكرية أطلقت عليها عملية ردع العدوان ضد قوات الجيش السوري والمليشيات الموالية لإيران في ريف حلب الغربي، والتي نجحت في السيطرة على دمشق خلال اثني عشر يوماً، وسقوط نظام بشار الأسد في ٨ ديسمبر ٢٠٢٤ ومغادرته إلى روسيا^(١١٩).

(118) George Hancock, Religion as a Soft Power Tool: Iran's Export of Twelver Shia Islam to Syria, April 2024, RUSI. <https://www.rusi.org/explore-our-research/publications/commentary/religion-soft-power-tool-irans-export-twelver-shia-islam-syria?>

(١١٩) حبيبة زيدان، الأزمات الداخلية وتأثيراتها في مستقبل الشرق الأوسط، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٣٩، يناير ٢٠٢٥، مجلد ٦٠، ص ١٢٧.

تداعيات سقوط نظام بشار الأسد على إيران:

كان نظام الأسد يمثل حليفًا استراتيجيًا أساسيًا لإيران في إطار مشروعها الإقليمي، ويشكل سقوطه ضربة مؤلمة لمصالحها الاستراتيجية، فمن المحتمل أن تفقد نفوذها في سوريا بشكل كبير؛ ومن ثمَّ فقدانها قاعدة استراتيجية مهمة كانت تعزز وجودها العسكري والسياسي في المنطقة. كذلك يعني فقدان السيطرة على الأراضي السورية خسارة إيران لأحد المحاور الأساسية التي كانت تستخدمها لتنفيذ استراتيجياتها في مواجهة القوى الإقليمية والدولية المعادية لها، مثل إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، وهو ما يعني أن إيران ستواجه صعوبة في الحفاظ على موازين القوى التي كانت قد أسستها في المنطقة. ويمكن إجمال أبرز تداعيات سقوط نظام الأسد على إيران في الآتي:

١- فقدان الاتصال المباشر بحزب الله في لبنان: فيسقوط النظام السوري فقدت إيران الجسر الذي كان يربطها بحزب الله في لبنان، وبات من الصعب عليها نقل الأسلحة إليه عبر الأراضي السورية، وهو ما يمكن أن يؤثر سلبيًا في قوة الحزب داخليًا وإقليميًا^(١٢٠).

٢- فقدان منشآتها وقواعدها في سوريا: استغلت إسرائيل الوضع وقام سلاح الجو الإسرائيلي بضرب منشآت صواريخ إيرانية في دمشق كانت تغذي حزب الله بأنواع مختلفة من الصواريخ طويلة ومتوسطة وقصيرة المدى.

(١٢٠) محمد أبو الفضل، هندسة الشرق الأوسط أم فوضى غير خلاقية؟ مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٤٠، فرص التغيير في سوريا في ضوء التفاعلات الإقليمية والدولية، مجلد ٦٠، أبريل ٢٠٢٥، ص ١٧٧.

٣- **ضعف الميليشيات الإيرانية في سوريا:** فقد أعلن الجيش الإسرائيلي في ٨ ديسمبر ٢٠٢٤، بعد إعلان الفصائل المسلحة السيطرة على دمشق وسقوط نظام الرئيس بشار الأسد، احتلال المنطقة العازلة مع سوريا والخاضعة لمراقبة الأمم المتحدة، بما في ذلك موقع جبل الشيخ الاستراتيجي، ويتمثل الهدف التكتيكي الأبرز لتل أبيب في القضاء على كل الميليشيات الإيرانية في سوريا وتمركزاتها العسكرية، وقطع طرق الإمداد العسكري واللوجستي، بما في ذلك نقل العناصر المقاتلة من سوريا إلى لبنان، وهو ما عملت تل أبيب على تفويضه عبر ضرباتها المتوالية والمتكررة منذ عام ٢٠١١ لتمرکزات الميليشيات الإيرانية، والتي تكثفت في سوريا منذ ٢٣ سبتمبر ٢٠٢٤، بالتوازي مع التصعيد الإسرائيلي في جنوب لبنان وتنفيذ إسرائيل هجوماً البري في نفس الشهر، وقد شمل كذلك استهداف تل أبيب للمعابر الحدودية السورية اللبنانية؛ ومن ثمّ تهدف تل أبيب من توغلها في الأراضي السورية إلى قطع الطريق أمام إيران؛ لتكرار سيناريو جنوب لبنان في جنوب سوريا^(١٢١).

٤- **خروج سوريا من محور المقاومة:** إذ ترى القيادة السورية الجديدة في إيران شريكاً للنظام السوري السابق، وهو ما يؤدي إلى انفصال سوريا عن محور المقاومة الإيراني بالمنطقة؛ ومن ثمّ لم يعد بإمكان إيران الاعتماد على الأراضي السورية ضمن طموحها الرامي إلى الربط البري بين طهران وبغداد وبيروت، مروراً بدمشق، والدليل على ذلك انسحاب مستشاري الحرس الثوري

^(١٢١) طارق فهمي، احتلال إسرائيل لأراضي في سوريا: المعطيات والسيناريوهات المحتملة، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٤٠، فرص التغيير في سوريا في ضوء التفاعلات الإقليمية والدولية، مجلد ٦٠، أبريل ٢٠٢٥، ص ١١٠-١١٣.

والمقاتلين المتبقين من سوريا وفقاً لتأكيدات العديد من المسؤولين الإيرانيين^(١٢٢).

٥- ضعف وكلاء إيران والتحديات الأمنية المترتبة على ذلك: إذ يترتب على خروج سوريا من محور المقاومة الإيراني، وتحيد حزب الله وعزله عن إيران، زيادة عزلة طهران وتقويض قدرتها على استخدام وكلائها؛ لإظهار القوة والنفوذ في المنطقة، وبالتالي لم يبق سوى الحوثيين في اليمن بوصفهم وكيل إيران الوحيد الذي يمتلك أي نوع من القدرات الهجومية الخطيرة؛ ومن ثم فإن تآكل تحالفات إيران الإقليمية لا يقلل من نفوذها فقط، بل يعرضها لمخاطر أمنية متزايدة^(١٢٣).

ترى الباحثة أن سرعة انهيار النظام السوري السابق وغياب الجيش النظامي عن ساحات المواجهة لم تكن نتيجة ضعف عسكري فحسب، بل انعكاساً لهشاشة مؤسسات الدولة، وفقدان الشرعية السياسية، وتحول الأراضي السورية إلى ساحة صراع بالوكالة. كما يمثل سقوط نظام بشار الأسد خسارة استراتيجية لإيران؛ إذ يهدد بتفكيك أحد أهم ركائز محور المقاومة ويضعف قدرتها على دعم حزب الله وممارسة الضغط على إسرائيل. أما بالنسبة لإسرائيل فإنه يمنحها مكاسب أمنية

^(١٢٢) نوران عوضين، يناير ٢٠٢٥، الأبعاد الإقليمية والدولية لسقوط نظام بشار الأسد، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٣٩، مجلد ٦٠، ص ٢٢٣.

^(١٢٣) محمد عباس، إيران في مواجهة خيارات صعبة بعد سقوط الأسد، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٤٠، فرص التغيير في سوريا في ضوء التفاعلات الإقليمية والدولية، مجلد ٦٠، أبريل ٢٠٢٥، ص ١٠٦-١٠٨.

على المدى الطويل، لكنه يخلق لها تحديات جديدة مرتبطة بالفوضى وغياب المؤسسات النظامية المسؤولة.

ومن ثمّ يمكن القول: إن الصراع الإسرائيلي- الإيراني تجاوز حدود التنافس التقليدي ليصبح حرباً بنيوية ترتبط بإعادة تشكيل موازين القوى في المنطقة. فقد أدت الحروب بالوكالة، من اليمن إلى لبنان وسوريا، إلى خلق شبكة معقدة من الفاعلين من غير الدول الذين يوسعون ساحة الاشتباك ويجعلون من المواجهة حالة مستمرة. كما أن سقوط نظام الأسد شكل ضربة استراتيجية لإيران، وأعاد لإسرائيل هامش مناورة أكبر في الساحة السورية، فضلاً عن سيطرتها على أجزاء كبيرة من هضبة الجولان السورية وقمة جبل الشيخ، في حين تعزز دور الحوثيين بوصفهم فاعلاً مركزياً في محور المقاومة. إن هذا المشهد يعكس ما يمكن وصفه بتدويل الصراع الإقليمي؛ إذ تصطدم فيه مصالح القوى الكبرى بحسابات الفاعلين المحليين؛ ومن ثم فإن الحرب الإسرائيلية الإيرانية ليست مجرد مواجهة عسكرية، بل هي تجسيد لصراع أيديولوجي- جيوسياسي يعكس التناقض بين مشروع استعماري يسعى إلى الهيمنة عبر إسرائيل، ومشروع إيرانيّ يطمح إلى توسيع نفوذه الإقليمي.

المحور الرابع: حرب الإثني عشر يوماً

تأتي حرب الإثني عشر يوماً بين إسرائيل وإيران في يونيو ٢٠٢٥ بوصفها حلقة جديدة في سلسلة التصعيد المتواصل الذي تناولته المحاور السابقة، بدءاً من تحليل الأسس الفكرية للأيدولوجية الصهيونية، ومروراً بتداعيات طوفان الأقصى، ووصولاً إلى الحرب الإسرائيلية-الإيرانية طويلة المدى. وتمثل هذه الحرب نقطة انعطاف محورية، إذ تكشف عن انتقال المواجهة من صراع غير مباشر عبر الوكلاء إلى مواجهة عسكرية مفتوحة، اتخذت فيها إسرائيل قراراً استراتيجياً بالمغامرة العسكرية تحت غطاء الشرعية الدولية وبمسوغات ترتبط بالبرنامج النووي الإيراني. إن هذا التطور يوضح كيف تحولت الأيدولوجية الصهيونية إلى منطق وجودي يُعيد تعريف أمن إسرائيل، ويسوغ خوض حروب وقائية شاملة، في وقت تسعى فيه إيران إلى تأكيد مكانتها الإقليمية ومقاومة الضغوط الغربية والإسرائيلية.

شنت إسرائيل حرباً ضروساً ضد إيران في ١٣ يونيو ٢٠٢٥، وقد أطلقت عليها عملية الأسد الصاعد، وهذه الحرب كان لها دور كبير في إعادة تشكيل الترتيبات الأمنية والسياسية في المنطقة، وقد جاء هذا الهجوم بعد سلسلة من الضربات التكتيكية التي نفذتها تل أبيب ضد ما يعرف بمحور المقاومة الذي تقوده إيران؛ الأمر الذي قوض استراتيجية الدفاع الأممي التي تعتمد عليها طهران من خلال وكلاء إقليميين لردع إسرائيل أو أمريكا من الشروع في هجوم ضدها^(١٢٤).

^(١٢٤) مهذب عادل، حسابات إسرائيل من الأسد الصاعد ومعضلة الانتصار غير المكتمل، الملف المصري، العدد ١٢٨، الصراع الإيراني الإسرائيلي حرب الإثني عشر يوماً وأبعادها الاستراتيجية، يونيو/ يوليو ٢٠٢٥، ص ١٥-١٦.

سوغت إسرائيل حربها ضد إيران بصدر قرار مجلس محافظي الوكالة الدولية في يونيو ٢٠٢٥، الذي أدان عدم التزام طهران بتنفيذ تعهداتها بعدم الانتشار النووي، وقد حظي هذا القرار بتأييد ١٩ دولة في مقابل امتناع ١١ عن التصويت ورفض ثلاث للقرار. وقد استغل رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو هذا القرار في الترويج إلى أن البرنامج النووي الإيراني يشكل تهديدًا وجوديًا لإسرائيل والعالم أجمع، في محاولة لاستقطاب دعم ومساندة القوى الدولية لقرار إسرائيل باستخدام الخيار العسكري ضد إيران^(١٢٥).

كذلك استغلت إسرائيل عدم نجاح المفاوضات بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية، برعاية سلطنة عمان، حول البرنامج النووي الإيراني، وقد سعى الطرفان على مدى خمس جولات من المفاوضات إلى محاولة احتواء الخلافات العالقة حول بعض القضايا، مثل: قضية مواصلة طهران تخصيب اليورانيوم، ولكن إيران أصرت على التمسك بحقها في استمرار عمليات التخصيب، في حين رفضت واشنطن السماح لها بالتخصيب^(١٢٦).

كذلك أعلنت طهران، في ٦ يونيو ٢٠٢٥، تنفيذ عملية استخباراتية نوعية مكنتها من الحصول على وثائق نووية إسرائيلية، وروجت إلى أن هذه العملية تشكل ضربة أمنية قوية تحاكي استيلاء إسرائيل على الأرشيف النووي الإيراني في عملية استخباراتية في ٣١ يناير ٢٠١٨^(١٢٧).

^(١٢٥) محمد عباس، تداعيات ومسارات الحرب بين إيران وإسرائيل، مجلة السياسة الدولية، العدد

٢٤١، يوليو ٢٠٢٥، مجلد ٦٠، ص ٢١٥.

^(١٢٦) المرجع السابق، ص ٢١٥.

^(١٢٧) محمد عباس، تداعيات ومسارات الحرب بين إيران وإسرائيل، مرجع سابق، ص ٢١٥.

على الرغم من أن إيران كانت تتوقع احتمال قيام إسرائيل بشن حرب ضدها، فإنها فوجئت بتوقيت الضربة. والسبب في ذلك هو انشغال طهران في التفاوض مع واشنطن؛ للوصول إلى صفقة نووية جديدة، وقد تصورت إيران أن الخلافات بين الرئيس الأمريكي ترامب ورئيس الوزراء الإسرائيلي نتتيا هو حقيقة، وأن إسرائيل لن تشن حرباً ضد إيران في ظل استمرار المفاوضات، ومن دون رغبة ترامب، الذي أكد بعد اندلاع الحرب أنه كان على علم بالضربات العسكرية التي كانت إسرائيل تستعد لتوجيهها داخل إيران^(١٢٨).

مجريات الحرب:

قبل عدة أشهر من الحرب، تسلل عملاء الموساد إلى عمق إيران، حيث أنشأوا قاعدة سرية للطائرات من دون طيار بالقرب من طهران. وخلال أسابيع متواصلة، تمكنوا من تهريب متفجرات وطائرات مسيرة تجارية مخبأة في حقائب ومركبات مدنية دون إثارة الانتباه. وعندما اقتربت الطائرات الإسرائيلية من المجال الجوي الإيراني، أطلقت الفرق الميدانية تلك الطائرات المسيرة، مستهدفة منصات الصواريخ وبطاريات الدفاع الجوي، وقد جاءت العملية في شكل يحاكي هجوم "شبكة العنكبوت" الأوكراني على أسطول القاذفات الاستراتيجية الروسية. وقد دمر الهجوم قدرة إيران على الدفاع عن نفسها والرد على الضربة^(١٢٩).

^(١٢٨) المرجع السابق، ص ٢١٥.

⁽¹²⁹⁾ Adrian Blomfield, Mass assassinations to bunker-busters: the 12 days that reshaped the world, 25 June 2025, The telegraph. <https://www.telegraph.co.uk/world-news/2025/06/24/iran-israel-12-day-war-that-shook-world/>

في الوقت نفسه، نُفذت حملة اغتيالات جماعية شملت طائرات من دون طيار وغازات جوية وعمليات تخريبية؛ بهدف القضاء على القيادة النووية والعسكرية لإيران. وفي غضون ساعات، قتل أربعة من كبار الجنرالات في إيران، بمن فيهم حسين سلامي، قائد الحرس الثوري، ومحمد باقري، رئيس هيئة الأركان^(١٣٠). وكذلك اغتيل الكثير من كبار العلماء النوويين، مثل فريدون عباسي- رئيس منظمة الطاقة الذرية الإيرانية الأسبق- ومحمد مهدي طهرانجي، أستاذ الفيزياء ورئيس جامعة آزاد الإسلامية^(١٣١).

استطاعت إيران استيعاب الصدمة بسرعة وفاجأت إسرائيل؛ إذ قام المرشد الأعلى الإيراني علي خامنئي بتعيين قيادات جديدة؛ لتحل محل قيادات الصف الأول الذين اغتيلوا في الضربة الأولى للحرب، مثل: تعيين اللواء عبد الرحيم موسوي رئيساً لهيئة الأركان، والعميد محمد باكبور قائداً للحرس الثوري، والعميد أمير حاتمي قائداً عاماً للجيش^(١٣٢). كما ردت إيران بتوجيه ضربات عسكرية مضادة لإسرائيل من خلال استخدام صواريخ باليستية فرط صوتية وطائرات بدون طيار. وقد أحدثت هذه الضربات خسائر مادية وبشرية كبيرة داخل إسرائيل. واستهدفت طهران من هذه الهجمات تحقيق ثلاثة أهداف وهي: إثبات قدرتها على رفع تكلفة الحرب، وتأكيد تمسكها ببرنامجها النووي، والتأثير في الرأي العام

(130) Ibid.

(١٣١) محمد عباس، تداعيات ومسارات الحرب بين إيران وإسرائيل، مرجع سابق، ص ٢١٦.

(١٣٢) محمد عباس، تأثير الحرب الإسرائيلية- الإيرانية على مستقبل النظام الإيراني، الملف المصري، العدد ١٢٨، الصراع الإيراني الإسرائيلي حرب الإثني عشر يوماً وأبعادها الاستراتيجية، يونيو/ يوليو ٢٠٢٥، ص ٦.

الإسرائيلي مما يفرض قيودًا على الحكومة الإسرائيلية، ولا سيما وأن المواطنين الإسرائيليين غير معتادين على مشاهد الدمار الواسعة التي شهدوها الداخل الإسرائيلي^(١٣٣).

تدخلت الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب من خلال عملية مطرقة منتصف الليل في ٢٢ يونيو ٢٠٢٥؛ إذ قامت القاذفات الشبحية B-2 بتوجيه ضربات قوية للمنشآت النووية الإيرانية- فوردو ونطنز وأصفهان- للقضاء على البرنامج النووي الإيراني. وردًا على ذلك فقد قامت إيران بإطلاق أربعة عشر صاروخًا على قاعدة العديد الأمريكية في قطر، بعد إخطار الأمريكان بهذه الضربة عن طريق وسطاء؛ وذلك حفظًا لماء الوجه من ناحية، وتجنب التورط في حرب مع الولايات المتحدة من ناحية أخرى^(١٣٤).

لقد جاء في تقرير استخبارات الدفاع الوطني الأمريكي، المنشور في ٢٥ يونيو ٢٠٢٥، أن الضربات العسكرية الأمريكية ضد المفاعلات النووية الإيرانية لم تؤد إلى تدمير البرنامج النووي الإيراني، بل أخرته لمدة معينة فقط^(١٣٥).

الدوافع الإسرائيلية للحرب في سياق الأيدولوجية الصهيونية:

١- تخفيف حدة الضغوط الداخلية نتيجة طول أمد الحرب في غزة، وعدم تحرير الأسرى بعد فشل المسارين السياسي والعسكري في إنهاء هذه الحرب، وبالتالي زادت حدة الانقسامات السياسية والمجتمعية في الداخل الإسرائيلي نتيجة هذه

^(١٣٣) محمد عباس، تداعيات ومسارات الحرب بين إيران وإسرائيل، مرجع سابق، ص ٢١٦.

^(١٣٤) Adrian Blomfield, Op. cit.

^(١٣٥) محمد عباس، تأثير الحرب الإسرائيلية- الإيرانية على مستقبل النظام الإيراني، الملف المصري، مرجع سابق، ص ٧.

الحرب، وبناء عليه رأت الحكومة الإسرائيلية في هذه الحرب فرصة لتعزيز تماسك الجبهة الداخلية وتحييد ضغوط المعارضة، والالتفاف حول القيادة السياسية باعتبار هذه الحرب وجودية، كما وصفها بنيامين نتنياهو، وعلى أساس أن نتائجها سوف تصب في صالح حسم الحرب في غزة، وتحرير الرهائن من خلال عملية عسكرية من دون الحاجة إلى تقديم تنازلات عبر اتفاق سياسي، قد تكون نتيجته انهيار الائتلاف الحاكم^(١٣٦).

٢- **استعادة الدعم الغربي لإسرائيل**، وذلك بعد تآكل شرعية إسرائيل وتراجع صورتها الدولية نتيجة الانتهاكات الإنسانية الجسيمة التي ترتكبها بحق المدنيين في غزة، ولأسيما بعد صدور مذكرة اتهام من المحكمة الجنائية الدولية ضد رئيس الوزراء الإسرائيلي واتهامه بارتكاب جرائم حرب. وبالتالي ساعدت الحرب الإسرائيلية الأخيرة ضد إيران على تعزيز الاصطفاف الغربي من جديد، باعتبار أن إسرائيل تنوب عن العالم الغربي في القضاء على التهديدات الإيرانية للغرب نفسه^(١٣٧).

٣- **القضاء على البرنامج النووي الإيراني**: فمنذ اليوم الأول من الحرب، أعلن نتنياهو أن تحييد القدرات النووية الإيرانية يمثل الهدف الأول لهذه المواجهة. وفي هذا الصدد، استهدف الجيش الإسرائيلي خلال الهجوم الأصول النووية،

^(١٣٦) مهاب عادل، حسابات إسرائيل من الأسد الصاعد ومعضلة الانتصار غير المكتمل، مرجع سابق، ص ١٦-١٧.

^(١٣٧) المرجع السابق، ص ١٧.

بالإضافة إلى اغتيال العلماء المسؤولين عن البرنامج النووي؛ فقد تم اغتيال حوالي عشرة علماء بارزين^(١٣٨).

٤- إسقاط النظام الإيراني: استهدفت إسرائيل من هذه المواجهة محاولة زعزعة الاستقرار الداخلي لإيران، ونشر الفوضى وإظهار مدى ضعف وهشاشة النظام الإيراني؛ مستهدفة بذلك خروج الشعب الإيراني ضد النظام، ومحاولة إسقاطه والقضاء على النظام الأيديولوجي، الذي رُسخ بعد الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩، والذي يصف الولايات المتحدة وإسرائيل بالشيطان الأكبر والشيطان الأصغر^(١٣٩).

تداعيات الحرب:

بمجرد انتهاء حرب الإثني عشر يومًا، شرع كل طرف من أطراف الحرب في الترويج للانتصار؛ ففي إيران اعتمد الخطاب السياسي للمرشد الأعلى والقادة العسكريين والمسؤولين السياسيين على أن إيران انتصرت على إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، وقد عبر عن ذلك القائد العام للجيش الإيراني أمير حاتمي، الذي صرح في ٣ يوليو ٢٠٢٥ بأن "إيران خرجت من هذه الحرب مرفوعة الرأس"^(١٤٠).

^(١٣٨) مهذب عادل، حسابات إسرائيل من الأسد الصاعد ومعضلة الانتصار غير المكتمل، مرجع سابق، ص ١٨.

^(١٣٩) المرجع السابق، ص ١٩.

^(١٤٠) محمد عباس، تأثير الحرب الإسرائيلية- الإيرانية على مستقبل النظام الإيراني، مرجع سابق، ص ٧.

أما في الداخل الإسرائيلي، فقد أسفرت هذه المواجهة عن تداعيات سلبية، ولاسيما فيما يتعلق بالخسائر البشرية التي بلغت، وفق تقديرات معهد دراسات الأمن القومي الإسرائيلي، نحو ٢٩ قتيل و٣٥٠٨ إصابة. بالإضافة إلى بعض الخسائر النوعية لبعض الأهداف الاستراتيجية مثل: معهد وايزمان للبحوث، ومجمع مصفاة بازان للنفط في مدينة حيفا الساحلية. كذلك شكلت الضربات الصاروخية الإيرانية ضغطاً كبيراً على الشعب الإسرائيلي الذي اضطر إلى دخول الملاجئ والاختباء بها لفترات طويلة نسبياً. فضلاً عن الخسائر الاقتصادية المباشرة التي نجمت عن إغلاق المجال الجوي الإسرائيلي، والتأثر الشديد الذي لحق بالقطاعات الإنتاجية الأخرى، ومن أبرزها قطاعا الزراعة والصناعة^(١٤١).

ترى الباحثة أن حرب الإثني عشر يوماً أظهرت أن الصراع بين إيران وإسرائيل لم يعد يقتصر على ساحات الوكلاء مثل: غزة ولبنان وسوريا، بل تحول إلى إمكانية المواجهة المباشرة، حتى وإن ظلت مكبوحة بعوامل الردع والضغط الدولية. إذ إن واشنطن والغرب يفضلان استمرار الصراع عند مستوى الحرب المحدودة دون الانزلاق إلى مواجهة شاملة قد تهدد مصالحهم النفطية والأمنية. وهذا يعني أن مستقبل العلاقة بين طهران وتل أبيب سيبقى محكوماً بمنطق إدارة الصراع لا حسمه، مع استمرار تبادل الرسائل العسكرية عبر ساحات ثالثة دون إعلان حرب مباشرة.

ومن ثم، تكشف حرب الإثني عشر يوماً أن الأيديولوجية الصهيونية، التي تأسست على أسطورة "الخطر الوجودي"، ما زالت المحرك المركزي للقرار

(١٤١) مهذب عادل، حسابات إسرائيل من الأسد الصاعد ومعضلة الانتصار غير المكتمل، مرجع سابق، ص ١٩.

السياسي والعسكري الإسرائيلي. فإسرائيل سعت من خلال هذه الحرب إلى تحقيق أهداف متعددة: استعادة شرعيتها الغربية المتآكلة، وتحديد البرنامج النووي الإيراني، وتحسين جبهتها الداخلية في مواجهة الانقسامات المرتبطة بالحرب على غزة. غير أن النتائج أظهرت هشاشة المشروع الصهيوني أمام الرد الإيراني، سواء عبر الضربات الصاروخية أم عبر استمرارية النظام الإيراني. وبهذا المعنى، فإن هذه الحرب، على الرغم من قصر مدتها، فإنها تكمل الصورة التي رسمتها المحاور السابقة: من طوفان الأقصى الذي هز العقيدة الأمنية الإسرائيلية، إلى الحرب الإسرائيلية- الإيرانية التي عمقت التناقضات، وصولاً إلى هذه الحرب التي كشفت حدود القوة الإسرائيلية في مواجهة خصم صاحب عقيدة يمتلك إرادة الصمود. ومن ثم، فإن هذا المحور يبرز الطبيعة البنيوية- الفلسفية للصراع، حيث توظف الأيدولوجيا لتبرير الحرب، لكن نتائجها تكشف دائماً عن حدود الهيمنة الإسرائيلية أمام واقع إقليمي معقد ومتغير.

الخاتمة

تكشف هذه الدراسة عن أن الأيدولوجية الصهيونية ليست مجرد خطاب قومي- ديني أو مشروع سياسي محدود، بل هي بنية فلسفية- وظيفية أعادت إنتاج ذاتها باستمرار؛ لمواجهة تحولات البيئة الإقليمية والدولية. فمنذ نشأتها، فقد ارتكزت الصهيونية على الدمج بين الأسطورة الدينية ومنطق الاستعمار الحديث، لتبرير إقامة كيان وظيفي يخدم المصالح الغربية في قلب الشرق الأوسط. وقد أظهرت المتغيرات المعاصرة- من عملية طوفان الأقصى التي أحدثت زلزالاً في العقيدة الأمنية الإسرائيلية، إلى الحرب الإسرائيلية- الإيرانية التي كشفت عن حدود

الردع التقليدي، وصولاً إلى حرب الاثني عشر يوماً التي فضحت هشاشة التفوق العسكري الإسرائيلي- أن هذا المشروع الأيديولوجي يواجه اليوم أزمة بنيوية وشرعية غير مسبقة.

لقد أوضحت الدراسة أن الصهيونية ما زالت أسيرة مقولة "الخطر الوجودي" التي توظفها؛ لتسويغ الحروب الاستباقية والتوسع الاستيطاني، غير أن التحولات الإقليمية كشفت حدود هذا المنطق. فصعود فاعلين من غير الدول مثل: حزب الله والحوثيين، وسقوط نظام الأسد بما حمله من تداعيات على محور المقاومة، والانعكاسات الدولية المتمثلة في الملاحقات القضائية لإسرائيل، كلها عوامل تضعف قدرة الصهيونية على إعادة إنتاج شرعيتها. وإلى جانب ذلك، تفرض المقاومة الفلسطينية نفسها بوصفها فاعلاً تاريخياً- وجودياً يقوض أسس المشروع الاستيطاني برمته.

ومن الناحية الفلسفية، تؤكد النتائج أن الصراع ليس سياسياً أو عسكرياً فقط، بل إنه صراع على الشرعية والمعتقدات: بين أيديولوجية تسعى إلى إدامة الاستعمار الاستيطاني عبر خطاب الخوف والتفوق، ومقاومة تستند إلى حق الشعوب في التحرر والبقاء. وبذلك، فإن مستقبل المنطقة سيُعاد تشكيله وفق توازن جديد لا تحدده القوة العسكرية وحدها، بل قدرة الأيديولوجيات على تقديم خطابات مقنعة وشرعية أخلاقية. إن الفلسفة السياسية تكشف هنا عن أن الهيمنة لا تكتمل بالقوة وحدها، بل تتطلب قبولاً اجتماعياً وأخلاقياً، وهو ما تفتقده الصهيونية في ظل عزلة دولية متنامية وصمود فلسطيني- إقليمي.

ومن ثمّ، فإن هذه الدراسة تسهم في إعادة قراءة الأيديولوجية الصهيونية ليس بوصفها حركة قومية فقط، بل بوصفها منظومة فكرية- استعمارية تواجه اليوم

تحديات وجودية، قد تحدد مصير المشروع الصهيوني ومستقبل التوازنات الإقليمية برمتها.

وبناءً على ما سبق توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- ١- تأسست الأيدولوجية الصهيونية على مزيج من الأساطير الدينية، مثل: أرض الميعاد والشعب المختار، والمنطق الاستعماري الغربي؛ مما جعلها مشروعاً استيطانياً وظيفياً يخدم مصالح الغرب الاستعماري.
- ٢- أثر الفكر الصهيوني في صياغة السياسات الإسرائيلية وتشكيلها، فقد ظل الفكر الصهيوني، القائم على مقولة الخطر الوجودي، هو المحرك المركزي للسياسة الإسرائيلية، بوصفه مسوغاً للحروب الوقائية والاستيطان، وكذلك فقد تحولت عقيدة إسرائيل في الشرق الأوسط من مبدأ الأرض مقابل السلام إلى معادلة السلام مقابل السلام.
- ٣- أدى طوفان الأقصى وحرب الإثني عشر يوماً إلى انهيار أسطورة "الجيش الذي لا يقهر" وأظهر حدود الردع الإسرائيلي، وفشل المنظومة الأمنية الإسرائيلية، كما أثبتت المقاومة الفلسطينية والإقليمية أنها ليست مجرد أداة سياسية، بل ممارسة فلسفية للحرية والبقاء. لقد أعادت المتغيرات الأخيرة القضية الفلسطينية إلى مركز النظام الدولي، بما يضع حدوداً موضوعية أمام محاولات التصفية والتهميش.
- ٤- لقد تجاوز الصراع الإسرائيلي- الإيراني حدود التنافس التقليدي ليصبح حرباً بنيوية ترتبط بإعادة تشكيل موازين القوى في المنطقة، فقد تغيرت قواعد الاشتباك بين الدولتين من حروب الظل أو الحروب بالوكالة إلى المواجهة المباشرة. حيث جاءت حرب الإثني عشر يوماً لتغير معادلة التوازن، وتكشف

محدودية القوة العسكرية في مواجهة صمود خصم عقائدي وإرادة مقاومة شعبية.

٥- تظهر الوقائع أن جماعة الحوثي تحولت من فاعل محلي إلى قوة إقليمية مؤثرة؛ نتيجة توسيع نطاق عملياتها البحرية في البحر الأحمر والمحيط الهندي، بما شكل تهديدًا مباشر للتجارة العالمية. وبالرغم من الضربات الأمريكية، والبريطانية، والإسرائيلية المكثفة، كشفت هذه العمليات محدودية المقاربات العسكرية التقليدية في ردع الجماعة. ويعكس هذا السلوك سعي الحوثيين لتعزيز شرعيتهم الداخلية وترسيخ موقعهم ضمن محور المقاومة بقيادة إيران.

٦- أدى انهيار نظام الأسد إلى تقويض النفوذ الإيراني في سوريا وفقدانها حلقة وصل استراتيجية تربطها بحزب الله اللبناني وامتدادها الإقليمي، وقد أعاد ذلك تشكيل ميزان القوة لصالح إسرائيل، مع انتقال مركز الثقل في محور المقاومة نحو الحوثيين، وبذلك أصبح الصراع الإسرائيلي- الإيراني يعكس تداخل البعد الجيوسياسي مع البعد الأيديولوجي.

في ضوء ما سبق، يمكن طرح رؤية مستقبلية مفادها أن مستقبل الصراع في المنطقة سيتحدد بقدرة كل طرف على إعادة إنتاج أيديولوجيته وتكييفها مع بيئة إقليمية لها خصوصية شديدة التعقيد. فمن ناحية، تواجه الصهيونية اختبارًا وجوديًا بفعل صعود المقاومة الفلسطينية وصمودها، وتزايد عزلة إسرائيل دوليًا، ومن ناحية أخرى، تسعى إيران عبر وكلائها لتعويض خسارتها في سوريا وتعزيز موقع الحوثيين كفاعل مركزي في محور المقاومة. كما أن خريطة التحالفات في المنطقة يعاد رسمها في ضوء المتغيرات المتسارعة التي تشهدها؛ فقد اتجهت بعض القوى

الإقليمية إلى إعادة النظر في سياساتها التحالفية مع القوى الإقليمية والدولية التقليدية، لاسيما بعد قيام إسرائيل بتوجيه ضربات جوية لقادة حماس داخل الدوحة، فمثلاً وقعت السعودية وباكستان اتفاقية دفاع مشترك، ودفعت الحرب الإسرائيلية على لبنان وسوريا وغزة إلى التقارب الإيراني المصري، والتقارب المصري التركي. وهذا يعني أن موازين القوى في المنطقة ستظل عرضة للتغير المستمر، ما يفتح الباب أمام مرحلة جديدة من تدويل الصراع الإقليمي، وتصطدم في هذه المرحلة استراتيجيات القوى الكبرى مع حسابات الفاعلين المحليين والإقليميين. كما أن الصراع بين الدول العربية والإسلامية من جهة وإسرائيل من جهة أخرى هو صراع ممتد، ومازال التهديد الوجودي لإسرائيل قائماً ومستمراً. أما بخصوص اتفاق شرم الشيخ الذي تضمن وقف إطلاق النار في قطاع غزة بين إسرائيل وحركة حماس، فإنه يُعد خطوة مهمة نحو تحويل الصراع من المواجهة العسكرية إلى الإطار التفاوضي، ويعكس اعتماد واشنطن المتزايد على الوساطة متعددة الأطراف في إدارة أزمات الشرق الأوسط، مع احتفاظ مصر وقطر بدور محوري في ضمان استقرار الترتيبات الأمنية والإنسانية اللاحقة.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع باللغة العربية:

أ. الكتب العربية:

١. أحمد الدغشي، الحوثيون دراسة منهجية شاملة طبيعة النشأة والتكوين وعوامل الظهور وجدلية العلاقة بالخارج ومشاهد المستقبل، بيروت، الدار العربية للعلوم، ٢٠١٠
٢. أحمد جلي، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين " الخوارج والشيعة"، الطبعة الثانية، السعودية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٩٨٨
٣. أحمد سيد، ولاية الفقيه عند الشيعة الإثني عشرية وموقف الإسلام منها، القاهرة، مكتبة الإمام البخاري، ٢٠٠٧
٤. أحمد صبحي، في علم الكلام الزيدية، القاهرة، الطبعة الثالثة، دار النهضة العربي، ١٩٩١
٥. إسماعيل مقلد، العلاقات السياسية الدولية: دراسة في الأصول والنظريات، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، ١٩٩١
٦. إميل توما، جذور القضية الفلسطينية، الناصرة، المكتبة الشعبية، ١٩٧٢
٧. أبو الفتح الشهرستاني، الملل والنحل، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢
٨. عبد الوهاب المسيري، تاريخ الفكر الصهيوني: جذوره ومساره وأزمته، القاهرة، دار الشروق، ٢٠١٠
٩. عبد الوهاب المسيري، الصهيونية وخيوط العنكبوت، دمشق، دار الفكر، ٢٠١٤

١٠. عبدالرحمن خليفة، أيدولوجية الصراع السياسي: دراسة في نظرية القوة، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩
١١. عبدالله العروي، مفهوم الأيدولوجيا، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠١٢
١٢. سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، الجزء الثاني، الطبعة الثامنة، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٦
١٣. سعد القمي، المقالات والفرق، طهران، مؤسسة مطبوعاتي عطائي، ١٩٦٣
١٤. سهير حنفى، التوجية الأيدولوجي وأثره على الثقافة السياسية بين الفكر الشمولي والديمقراطي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠
١٥. كاظم مهدي، ما بعد الصهيونية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٦
١٦. مالك العيسوي، الحروب بالوكالة: إدارة الأزمات الدولية في الاستراتيجية الأمريكية، الطبعة الأولى، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، ٢٠١٤
١٧. محمد أبو زهرة، الإمام زيد، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٨
١٨. محمد أبو زهرة، الميراث عند الجعفرية، القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠١٠
١٩. محمد المظفر، عقائد الإمامية، العراق، منشورات النعمان النجف الأشرف، ١٩٧٢
٢٠. محمد سبيلا، عبدالسلام بنعبد، الأيدولوجيا في دفاتر فلسفية: نصوص مختارة، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، ٢٠٠٦

٢١. محمود أبو القاسم، الصراع في الشرق الأوسط وملامح التغير في البيئة الاستراتيجية، الرياض، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، ٢٠٢٤

٢٢. يامن خالد، واقع التوازن الدولي بعد الحرب الباردة واحتمالاته المستقبلية، سوريا، الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٠

ب. الكتب المترجمة إلى اللغة العربية:

١. كلاوزفيتز، عن الحرب، ترجمة سليم شاكرا الإمامي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٧

ت. القواميس والمعاجم والموسوعات العربية:

١. عبدالوهاب المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية رؤية نقدية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ١٩٧٤

٢. مجمع اللغة العربية، كتاب المعجم الوسيط، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤

٣. محمد سبيلا، ونوح الهرموزي، موسوعة المفاهيم الأساسية في العلوم الإنسانية والفلسفة، الرباط، المركز العلمي العربي للأبحاث والدراسات الإنسانية، ٢٠١٧

٤. مصطفى خشيم، موسوعة علم العلاقات الدولية: مفاهيم مختارة، ليبيا، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤

ث. الدوريات العلمية:

١. إبراهيم منشاوي، مستقبل قطاع غزة في ضوء القانون الدولي، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٤١، معادلة الأمن في البحر الأحمر: بين التعاون والصراع، يوليو ٢٠٢٥، مجلد ٦٠

٢. أبو بكر الدسوقي، العناصر الحاكمة لمستقبل الصراع الإيراني - الإسرائيلي،
مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٣٧، تداعيات الصراع الإيراني - الإسرائيلي
إقليمياً وعالمياً، يوليو ٢٠٢٤، مجلد ٥٩
٣. أحمد إمبابي، التهديدات الأمنية في باب المندب وتداعياتها على الشرق
الأوسط، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٣٩، محددات واتجاهات الصراعات
في الشرق الأوسط، يناير ٢٠٢٥، مجلد ٦٠
٤. أحمد عبيس، تحديات العدالة الجنائية الدولية: الحرب بالوكالة أنموذجاً، مجلة
العلوم القانونية، العدد ١، جامعة بغداد، كلية القانون، ٢٠١٧، مجلد ٣٢
٥. أحمد فؤاد، مستقبل الشرق الأوسط في المنظور الإسرائيلي، مجلة السياسة
الدولية، العدد ٢٣٩، محددات واتجاهات الصراعات في الشرق الأوسط،
يناير ٢٠٢٥، مجلد ٦٠
٦. إسماعيل ناشف، عمل الحد: قراءة مختلفة للصهيونية، مجلة تبين، العدد
٩/٣٤، خريف ٢٠٢٠
٧. أشرف الحكيم، إشكالية العلاقة بين الاتفاقيات الإبراهيمية والقضية الفلسطينية،
المجلة العلمية للبحوث والدراسات التجارية، مجلد ٣٩، العدد ٢، ٢٠٢٥
٨. أميرة صديق، التداعيات الجيوبوليتيكية العالمية والإقليمية للحرب على غزة،
مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٣٧، تداعيات الصراع الإيراني - الإسرائيلي
إقليمياً ودولياً، يوليو ٢٠٢٤، مجلد ٥٩

٩. بوحنية قوى، سرديات متشابهة: الخطاب الديني الإسرائيلي والفلسطيني في الحرب على غزة، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٣٥، ٢٠٢٤ العالم إلى أين؟ يناير ٢٠٢٤، مجلد ٥٩، ملحق تحولات استراتيجية
١٠. تقى النجار، تأثير الفاعلين من دون الدول في مستقبل الشرق الأوسط، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٣٩، محددات واتجاهات الصراعات في الشرق الأوسط، يناير ٢٠٢٥، مجلد ٦٠
١١. تقى النجار، دوافع وتداعيات دور الحوثيين في أمن البحر الأحمر، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٤١، معادلة الأمن في البحر الأحمر بين التعاون والصراع، يوليو ٢٠٢٥، مجلد ٦٠
١٢. حبيبة زيدان، يناير ٢٠٢٥، الأزمات الداخلية وتأثيراتها في مستقبل الشرق الأوسط، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٣٩، مجلد ٦٠
١٣. حسن أبو طالب، الشرق الأوسط بين أوهام إسرائيل وتحولات النظام الدولي، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٤٠، فرص التغيير في سوريا في ضوء التفاعلات الإقليمية والدولية، إبريل ٢٠٢٥، مجلد ٦٠
١٤. خالد شنيكات، موقف وخيارات الدول العربية في مواجهة مقترح تهجير الفلسطينيين، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٤٠، فرص التغيير في سوريا في ضوء التفاعلات الإقليمية والدولية، إبريل ٢٠٢٥، مجلد ٦٠
١٥. شيماء منير، الحرب في غزة وانعكاساتها الاستراتيجية على القضية الفلسطينية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، ملف طوفان الأقصى والحرب على غزة المقدمات والتداعيات، ديسمبر ٢٠٢٣

١٦. طارق فهمي، احتلال إسرائيل لأراضٍ في سوريا: المعطيات والسيناريوهات المحتملة، *مجلة السياسة الدولية*، العدد ٢٤٠، فرص التغيير في سوريا في ضوء التفاعلات الإقليمية والدولية، أبريل ٢٠٢٥، مجلد ٦٠
١٧. صلاح الدين عبيد، الخطط الصهيونية في مجال التطبيق، *المجلة*، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، العدد ٤٧، ١٩٦٠
١٨. عاطف سالم، انعكاسات الصراع بين طهران وتل أبيب على الداخل الإسرائيلي، *مجلة السياسة الدولية*، العدد ٢٣٧، تداعيات الصراع الإيراني-الإسرائيلي إقليمياً ودولياً، يوليو ٢٠٢٤، مجلد ٥٩
١٩. عليّ الدين هلال، التوازن الاستراتيجي في الشرق الأوسط في ضوء حرب غزة، *مجلة السياسة الدولية*، العدد ٢٣٩، محددات واتجاهات الصراعات في الشرق الأوسط، يناير ٢٠٢٥، مجلد ٦٠
٢٠. فاتن الصفتي، مستقبل القضية الفلسطينية في ضوء التطورات الإقليمية الراهنة، *مجلة السياسة الدولية*، العدد ٢٣٩، محددات واتجاهات الصراعات في الشرق الأوسط، يناير ٢٠٢٥، مجلد ٦٠
٢١. محمد بدري، قراءة في رؤية إسرائيل لتغيير الشرق الأوسط، *مجلة السياسة الدولية*، العدد ٢٣٩، محددات واتجاهات الصراعات في الشرق الأوسط، يناير ٢٠٢٥، مجلد ٦٠
٢٢. محمد بدري، هجوم ٧ أكتوبر: من الصدمة الاستراتيجية إلى نموذج استخباراتي جديد، *مجلة السياسة الدولية*، العدد ٢٣٥، ٢٠٢٤ *العالم إلى أين؟* يناير ٢٠٢٤، مجلد ٥٩، ملحق تحولات استراتيجية

٢٣. محمد عباس، تأثير الحرب الإسرائيلية- الإيرانية على مستقبل النظام الإيراني، **الملف المصري**، العدد ١٢٨، الصراع الإيراني الإسرائيلي حرب الإثني عشر يوماً وأبعادها الاستراتيجية، يونيو/ يوليو ٢٠٢٥
٢٤. محمد عباس، إيران في مواجهة خيارات صعبة بعد سقوط الأسد، **مجلة السياسة الدولية**، العدد ٢٤٠، فرص التغيير في سوريا في ضوء التفاعلات الإقليمية والدولية، إبريل ٢٠٢٥، مجلد ٦٠
٢٥. محمد عباس، تداعيات ومسارات الحرب بين إيران وإسرائيل، **مجلة السياسة الدولية**، العدد ٢٤١، يوليو ٢٠٢٥، مجلد ٦٠
٢٦. محمد محفل، الجذور العنصرية- الفاشية للصهيونية، دراسات استراتيجية، العدد ٤، ٢٠٠٢، مجلد ٢
٢٧. مهذب عادل، حسابات إسرائيل من الأسد الصاعد ومعضلة الانتصار غير المكتمل، **الملف المصري**، العدد ١٢٨، الصراع الإيراني الإسرائيلي حرب الإثني عشر يوماً وأبعادها الاستراتيجية، يونيو/ يوليو ٢٠٢٥
٢٨. مهذب عادل، مستقبل النظام السياسي الإسرائيلي عقب الحرب على غزة، **مجلة السياسة الدولية**، العدد ٢٣٥، ٢٠٢٤ **العالم إلى أين؟** يناير ٢٠٢٤، مجلد ٥٩، ملحق تحولات استراتيجية
٢٩. نوران عوضين، الأبعاد الإقليمية والدولية لسقوط نظام بشار الأسد، **مجلة السياسة الدولية**، العدد ٢٣٩، يناير ٢٠٢٥، مجلد ٦٠
٣٠. هيثم مزاحم، الدولة والدين في إيران أثر ولاية الفقيه على السياسات الداخلية والخارجية، **مجلة الدراسات الإيرانية**، السنة الثانية، العدد ٥، ديسمبر ٢٠١٧

ج. الرسائل العلمية:

• رسائل دكتوراه:

١. إنجي فخري، رؤى التيارات الفكرية في إسرائيل لقضية يهودية الدولة، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ٢٠٢٣
٢. محمد صالح، الأيدولوجيا الصهيونية وتأثيرها على السياسة الإسرائيلية تجاه القضية الفلسطينية (١٩٤٨-٢٠٠٠)، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ٢٠٠٢

• رسائل ماجستير:

٣. منتظر داخ، دور الحرب الهجينة في الصراعات الدولية بعد العام ٢٠٠١م، رسالة ماجستير غير منشورة، العراق، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية. ٢٠٢٢
٤. محمد محمود، حالة ما بعد الصهيونية ومستقبل المجتمع الإسرائيلي: دراسة في طبيعة الحالة وتحولاتها المحتملة في ضوء انعكاساتها المجتمعية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ٢٠٢١

ح. المواقع الإلكترونية:

١. آية الهنداوي، خفايا اليهود وصناعة الأسطورة: من الوعد التوراتي إلى المشروع الصهيوني، مجلة السياسة الدولية، ٢٠٢٥، تم الدخول بتاريخ <http://www.siyassa.org.eg/News/22098.aspx> ، ٢٠٢٥/٩/٦

ثانياً: المصادر والمراجع باللغة الإنجليزية:

A. Primary Sources:

1. John Locke, **Two Treatises of Government**, ed. Peter Laslett (Cambridge: Cambridge University Press. 1988), Second Treatise
2. Immanuel Kant, **Toward Perpetual Peace**, Edited by Pauline Kleingeld. translated by David L. Colclasure. Indianapolis: Hackett Publishing, 2006, Part II

B. Books:

1. Andrew Heywood, **Political Ideologies: An Introduction**, Palgrave Macmillan, 1992
2. BO Strath, **Ideology and Conceptual History**, in the oxford handbook of political ideologies, Edited by Michael freeden, Lyman tower Sargent and Marc Stears, Oxford University Press, United Kingdom, 2013
3. Frantz Fanon, **The Wretched of the Earth**, Translated by Richard Philcox, New York: Grove Press, 2004
4. Gideon Shimoni, **The Zionist Ideology**, Hanover, NH: Brandeis University Press/University Press of New England, 1995
5. Karl Mannheim, **Ideology and Utopia: An Introduction to the Sociology of Knowledge**, New York: Harcourt, Brace, 1936
6. Martin Kramer, **Arab awakening and Islamic revival: The Politics of Ideas in the Middle East**, Transaction Publishers, New Brunswick, U.S, 1996
7. Motti Inbari, **Jewish Fundamentalism and the Temple Mount: Who will build the Third Temple?** Albany: State University of New York Press, United States of America, 2009
8. Taub, Gadi, **The Settlers: And the Struggle over the Meaning of Zionism**, New Haven: Yale University Press, 2010

9. Tyrone L. Groh, **Proxy War: The Least Bad Option**, Stanford, CA: Stanford University Press, 2019

C. Periodicals:

1. Arkush, Allan, "Cultural Zionism Today," **Israel Studies** 19, no. 2 (2014): 1–14, <https://doi.org/10.2979/israelstudies.19.2.1>
2. Don-Yehiya, Eliezer, "Messianism and Politics: The Ideological Transformation of Religious Zionism," **Israel Studies** 19, no. 2 (2014): 239–63. <https://doi.org/10.2979/israelstudies.19.2.239>
3. Mohammad Hamayel et al, "The Power in the Zionist Ideology, and Its Impact on the Israeli National Power," **Academy of Strategic Management Journal**, Vol. 20, Issue 5, 2021. <https://www.abacademies.org/articles/the-power-in-the-zionist-ideology-and-its-impact-on-the-israeli-national-power-14285.html?>
4. Eric Newberg, Review of Christian Zionism: Roadmap to Armageddon? by Stephen Sizer, **Religious Studies Review** 33, no. 1 (January 2007).

D. Theses:

1. Michael Newkirk, **American Christian Zionism: History, Theology and Implications**, MA thesis, Reformed Theological Seminary, 2009

E. Encyclopedias:

1. Avineri Shlomo, **Zionism**, Editor(s): Neil J. Smelser, Paul B. Baltes, International Encyclopedia of the Social & Behavioral Sciences, Pergamon, 2001

F. Electronic sources:

1. Adrian Blomfield, Mass assassinations to bunker-busters: the 12 days that reshaped the world, 25 June 2025, The telegraph, accessed August 20, 2025, <https://www.telegraph.co.uk/world-news/2025/06/24/iran-israel-12-day-war-that-shook-world/>

2. Britannica Academic, s.v. "Zionism," accessed August 29, 2025, <https://08107mc1t-1103-y-https-academic-eb-com.mplbci.ekb.eg/levels/collegiate/article/Zionism/78399>
3. Devin Trivedi, 2016, Primer on the Alawites in Syria, accessed August 3, 2025, <https://www.fpri.org/article/2016/12/primer-alawites-syria/>
4. George Hancock, Religion as a Soft Power Tool: Iran's Export of Twelver Shia Islam to Syria, April 2024, RUSI, accessed August 15, 2025, <https://www.rusi.org/explore-our-research/publications/commentary/religion-soft-power-tool-irans-export-twelver-shia-islam-syria?>
5. Haim Sperber, **"Is Zionism a Movement of Return?"** In Next Year in Jerusalem: Exile and Return in Jewish History, edited by Leonard J. Greenspoon, 127–34. Purdue University Press, 2019, <https://doi.org/10.2307/j.ctvh9w1wk.12>.
6. Humeyra Pamuk and Anthony Deutsch, Trump administration imposes new sanctions on four ICC judges, prosecutors, <https://www.reuters.com/world/asia-pacific/trump-administration-imposes-new-sanctions-four-icc-judges-prosecutors-2025-08-20/> accessed September 18, 2025
7. United Nations, International Covenant on Civil and Political Rights (New York: United Nations, 1966), United Nations Treaty Series, vol. 999, p. 171, Article 1. <https://www.ohchr.org/sites/default/files/ccpr.pdf>
8. UN General Assembly (37th sess.: 1982-1983), Importance of the universal realization of the right of peoples to self-determination and of the speedy granting of independence to colonial countries and peoples for the effective guarantee and observance of human rights., A/RES/37/43, UN General Assembly, 3 December 1982, accessed 18 September 2025 <https://www.refworld.org/legal/resolution/unga/1982/en/9326>